الفصـــل الثالـــث

القيم التشكيلية في فن النحت الرومانيسكي

obeikandl.com

الفن الرومانيسكي

إن الفن الرومانيسكي* مزيجاً من الزخرفة والنحت معاً ، وحد بينهما في نسق واحد وظل موصولاً بالمعتقدات المسيحية التي سادت في القرون الأولي ، والتي عرفت العالم المادي ، بأن ليس غير رداء رمزي ووسيلة إلى عالم الروح وبهذا جمع النحت الرومانيسكي في طياته في تناغم وتوافق الصيغ الرومانية والبيزنطية معا.

وقد خطي هذا الفن بعناية الفنان الرومانيسكي غاية فائقة تجلت في شيئين :

أولا: النحت العالي البروز ، ثانيا: التمثيل الطبيعي للجسد الإنساني بالرجوع إلى التقاليد الرومانية

والأسلوب الرومانيسكي هو أسلوب في الفن ساد معظم البلاد الأوروبية بعد إنهيار الإمبراطورية الرومانية،والبلاد الأوروبية المقصودة هنا هي البلاد التابعة للكنيسة الكاثوليكية الرومانية،في مقابل الأسلوب البيزنطي الذي ساد البلاد التابعة للكنيسة الأرثوذكسية،والفن الرومانيسكي هو فن القرون الوسطي قبل عام ١٢٠٠م وهو فن متنوعاً،وحياً،مليئاً بمظاهر النمو الواضحة ، فيه غني في إيحاءاته أليانعة وفي تقاليده القديمة .

ولكن بعص الدراسين في الفن يرون أن فن القرون الوسطي قبل شارلمان يمثل الفن السابق علي العصر الرومانيسكي،بينما الفن الكارولنجي والأوتوني علي انه الفن الرومانيسكي المبكر،وهم في ذلك علي صواب لأنه لا يجوز التفكير في الفن الرومانيسكي من عام (١٠٥٠ حتى عام ١٢٠٠م) دون الإشارة إلي إسهامات هذه الأساليب المبكرة،ونحن مع أتباع هذا المسار الفكري، لأننا لن نكون عادلين مع أي الخصائص التي تجعل العهود الكاورلخية والأتونية مختلفين عن الفن الرومانيسكي .

وإذا كان الفن الرومانيسكي يتضمن بداخله التقليد الأوتوني والكارولنجي،فهو يحوي إلي جانب ذلك تقاليد أخرى مثل الكلاسيكية المتأخرة ، المسيحية المبكرة ،

(*)الفن الرومانيسكي : ظهر عام ١٠٨٨م في جنوب فرنسا،وقد وحد الفن الأوربي بعد ما كان هناك تضاربات عاني منها الفن الكارولنجي ثم الاتوني،وهو يختص بتلك البلدان الأوربية والتي كانت تابعة للكنيسة الكاثوليكية الرومانية في مقابل الاسلوب البيزنطي الذي ساد البلاد التابعة للكنيسة الارثوذكسية .

العناصر البيزنطية ، قدر من التأثير الإسلامي ، والتراث الكلتي الألماني ، وإنصهار هذه المكونات معاً أدى إلى ظهور أسلوب متماسك جديد هو الفن الرومانيسكي .

الفن الكلتي

"في تاريخ أوربا عصران ، أولهما عصر الكليتن القدامي الذين كانوا يعاصرون الإغريق القدامي،وممالك الأسكندر،والإمبراطورية الرومانية التي طردتهم بالتدريج إلى الجزر البريطانية ، حيث احتفظوا بعقائدهم الوثنية حتي القرن الخامس بعد الميلاد .

والعصر الثاني : هو عصر الكلتين المسيحيين الذين عاشوا في ايرلنده واسكتلنده وويلز،وأقاموا حضارة زاهرة أثرت تأثيراً عميقاً في فنون العصور الوسطي كلها في الغرب عن طريق البعثات التبشيرية التي قادها رهبان أيرلنديون في قلب أوربا" (١) وقد أطلق علي الفن الكلتي القديم أسم "لاتن"(*) وهذا الفن بنوعيه التصويري والتشكيلي مبني في أساسه علي الجمع بين الخطوط المنحنية ، وصور النبات والأوراق المستمدة من الرسوم الزخرفية عند الإغريق والطليان ، كما أنه مبني علي تحويل هذه الرسوم إلي أشكال خيالية .

والفن الكلتي بالنظر إلي جودته وطرافته ، من أبرز التطورات الجمالية في تاريخ الإنسان،وفي أواسط القرن الخامس قبل الميلاد كان الفن الكلتي قد أكتسب موضوعاته الرئيسية،وظهرت بداخله أشكال حيوانية وأدمية،إلى جانب الأقواس الهندسية الغزيرة ، وأحيانا تختلط بها ، غير أن الفنانين الكلتين لم يكونوا يراعون الواقع فكانت الأشكال الحيوانية تشوه فتصير كأشكال المسوخ ، وتتحول إلي رسوم معقدة،وحل محل نقاء الخط ومتانة الأسلوب مرونة وغزارة في الزخرف " ولعل الفنانين الكلتيين قد أظهروا أدق مواهبهم في سك العملات،وقد اتخذ الفنانون الكلت العملات اليونانية نماذج لهم،وسرعان ما حولوا الصور الهلينية الكلاسيكية إلي أشكال كلتية غريبة .

فالنسبة إلي تصوير الرؤوس توضح العملات في شكل (٣٢) ان رأساً كلاسياً لأحد آلهة الإغريق كالعملة القضية التي سكها فيليب الثاني ملك مقدونيا في القرن الرابع قبل الميلاد العملة رقم (أ) , قد حولها الكلت إلى مجموعة كثيفة من الأقواس والدوائر التي

---

(١) رسالة إليونسكو ــ العدد ١٧٥ ، فبراير ١٩٧٦ ، صـــ ٣١

(*) لاتن اسم مكان اكتشف فيه عدد كبير من الآثار الكلتية في بحيرة نيوشاتل بسويسرا،وقد أمتد تاريخها من القرن السادس إلى القرن الأول ق.م.

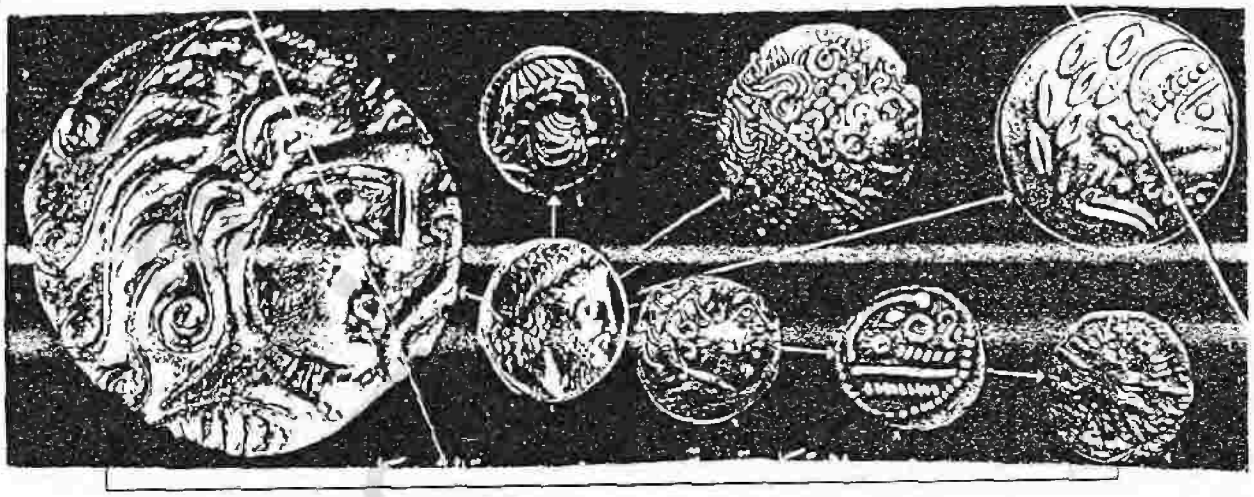

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٣٢	عملة لأحد آلهة الاغريق فيليب الثاني ملك مقدونيا	فضة	مقدونيا	القرن الرابع	فن كلتي

تتجاوز الحقيقة الواقعة،ومن ثم سبقت الفن اللاواقعي بقرابة ألفى سنة ، وقد صور الشعر بحلزونات متدفقة ، وحلزونات عكسية تطغي علي صورة الوجة (ح ، د ، هـ) أو تختصر فتصير أشكالاً ورقية بصلية (و) وينفجر الرأس فيغدو عدد كبيراً من الشظايا (ع ، ل) أو يتخذ شكلاً هيروغليفياً غريباً شكل (م)" [١] وبالتدريج اتخذت النحوتات بعد ذلك طابعاً كلتياً،فأصبح الشعر لوالب مرسلة ، وخيوطاً من الخرز،وتموجات متدفقة واتسعت العينين، وزاد إستخدام الرموز،والزخارف الخاصة بالفن الكلتي كالحلزونات والأقراص والمخلوقات الاسطورية .

والفن الكلتى فن نجح في صنع مزيجاً متألفاً من أشكال هندسية منقوشة ، وصور خيالية مرسومة بتصميمات خطية حرة ، وكان لهذا الفن تأثيراً واسعاً علي غرب أوربا رغم تنوعاته المحلية ، فأمتد إلي إيرلنده التي أفلتت من السيطرة الرومانية ومن أيرلنده عاد إلى القارة الأوربية في القرن التاسع بفضل المبشرين الأيرلنديين،واصبح في آخر الأمر مصدراً من مصادر الفن الرومانيسكي " [٢].

الأسلوب الكلتي الألماني

"القبائل الألمانية التي دخلت إلى أوربا الغربية من الشرق خلال سنوات إنهيار الإمبراطورية الرومانية كانت تحمل معها التقليد الفني المعروف باسم الأسلوب الكلتي ، وهذا الأسلوب كان يعتمد كما ذكرنا علي الأشكال العضوية المحددة والحرية الشكلية والخيالية،ويوضح هذا غطاء من الذهب والمينا شكل (٣٣) لتابوت الملك أنجليان الشرقي الذي توفي بين ٦٢٥ ، ٦٣٣م والتي تحمل أربعة أزواج من النماذج المتناسبة الأبعاد ، حيث كل منها له سمته المميزة ، وذلك دليل علي أن النماذج مجمعة من أربعة مصادر مختلفة،وأحدي هذه النماذج يصور الرجل الواقف بين الوحوش المتقابلة والذي له تاريخ ينتمي إلي الفن السومري ، وصورة النسور التي تنقض علي البط ، والتصميم أعلي هذه الأعمال تصور

---

(١) يونسكو العدد ١٧٥ ، صـ ٣٢ .

(٢) يونسكو العدد ١٧٥ ، صـ ٣٢ .

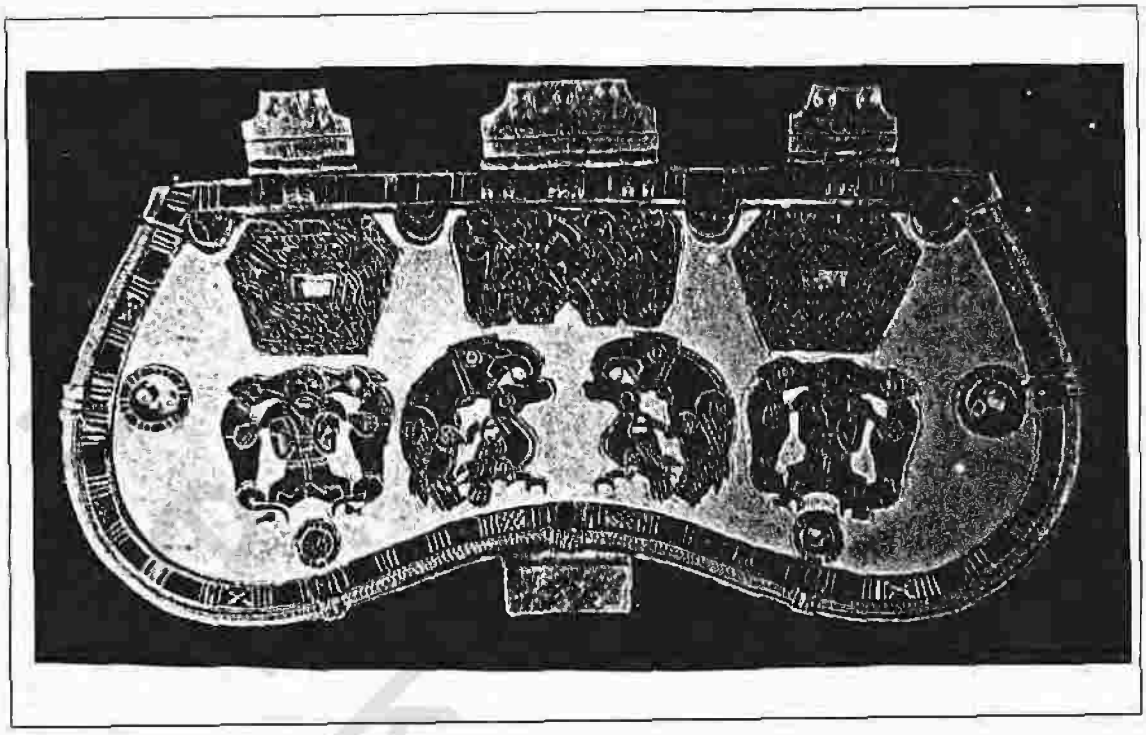

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٣٣	غطاء من الذهب والمينا الملك إنجليان الشرقي	ذهب ومينا	المتحف البريطاني – لندن	٦٢٥-٦٣٣	فن كلتي

الحيوانات التي تتشابك ذيولها وأقدامها،وهذا التشابك يمثل وسيلة الزخرفة في مجال الفن المسيحي خاصة علي الساحل الجنوبي لحوض البحر الأبيض المتوسط ". (١)

وخلال العصور المظلمة ، فإن الأشكال انتقلت إلي الأوساط الحجرية والخشبية وكذلك المخطوطات المزخرفة،ولكن الأعمال الخشبية لم يتبقى منها الكثير مع أن معظمها جاء من الدول الإسكندنافية حيث " يعكس لنا الرأس الحيواني الرائع شكل (٣٤) من بداية القرن التاسع المكتشفة في قاع سفينة الفايكنج عن الجودة المركبة فالشكل الأساسي للرأس تبدو واقعيته تماماً في بعض التفاصيل مثل الأسنان والأنف مع أن السطح ملئ بالنماذج الهندسية المتشابكة ،والتي تعكس إعتمادها علي المشغولات المعدنية" (٢).

ولكن الشخصية الإنسانية لم تكن في متناول قدرة الفنان الكلتي واللوحة البرنزية من مشهد الصلب شكل (٣٥) توضح عجزه في التعامل مع مظهر الشخصية الإنسانية، ونري المسيح وهو مصلوب تحيط به أصحاب الأناجيل الأربعة،وقد زينت تصاوير الأشخاص بغزاره بأشكال دائرية وحلزونية وضفائر متشابكة" (٣).ويلاحظ أن الفنان كان يعاني من العجز في أن يتصور الشخصية الإنسانية،بحيث أن شكل المسيح يبدو غريب والرأس والساعدين والقدمين تمثل عناصر مستقلة .

"وقد أنتج الفنان الكلتي أعمالا حجرية في الأديرة الأيرلندية " فالأديرة الأيرلندية تمثل الدعائم والمراكز الغربية لهذه الحضارة،فالنماذج الحجرية تتراوح من التوابيت البسيطة المحفورة إلى الصلبان المنحوتة بدقة والتي ترتفع ستة أمتار" (٤).

ونري العجز في تصور الشخصية الإنسانية لدي الفنان الكلتي علي أحد الصلبان الحجرية من أيرلندا شكل (٣٦) وعلي جدار إحدى الجانبين صورة لجسم إنساني بشري ذي عيون كبيرة بارزة وخصلات شعر متقاربة،تعكس مدي عجز الفنان الكلتي في تخيل الشخصية الإنسانية .

---

(1) H.w Jamson,op,cit, PP. 313
(2) I bid , pp 314

(٣) رسالة إليونسكو : العدد ٢٠١ ، أبريل ١٩٧٨ ، صـــ١٥

(4) Portaland how op,cit, PP.266

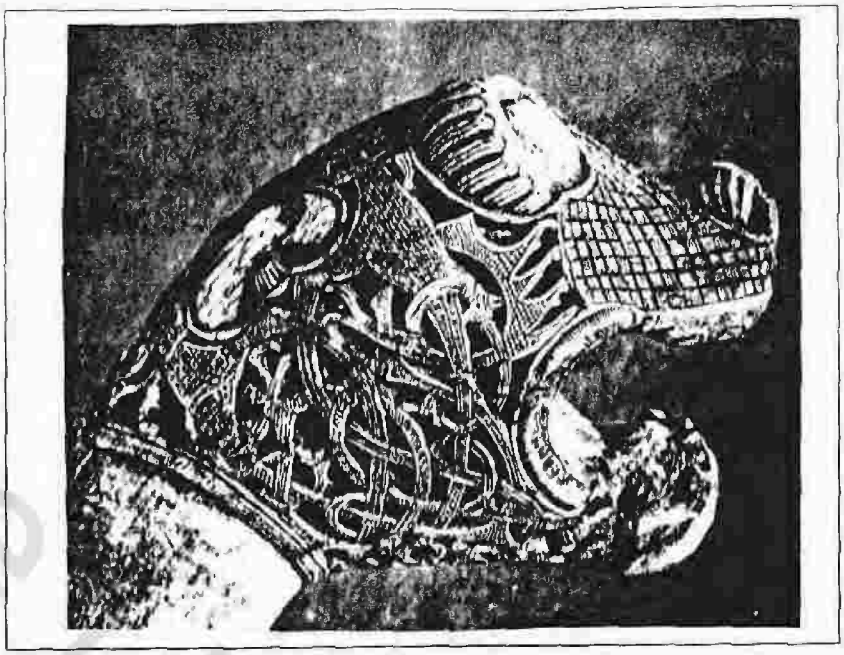

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٣٤	رأس حيواني	خشب	متحف الجامعة بإنطاكية – أوسلو	٨٢٥م	فن كلتي

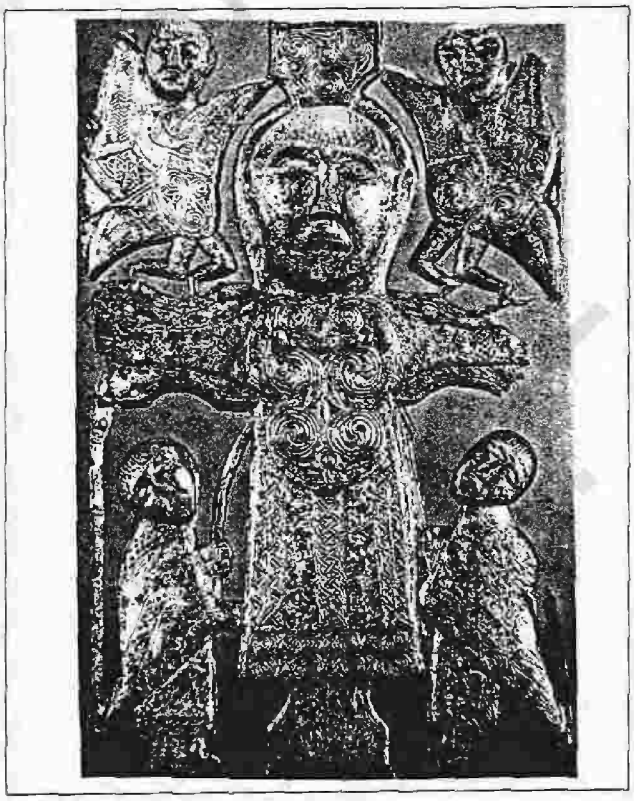

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٣٥	مشهد الصلب	برنز	المتحف القومي – بأيرلندا دبلن	القرن الثامن الميلادي	فن كلتي

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٣٦	صليب كاسلديرموت	حجر	إيرلنده	القرن التاسع	فن كلتي

الأسلوب اللومباردي

"وإذا إنتقلنا إلى الحديث عن الفن عند اللومبارديين(*) ، نلمس أن أسلوبهم قد تأثر إلى حد بعيد بالأسلوب البيزنطي،ويبدو هذا علي الأخص في فن النحت اللومباردي ، فالتطور الذي إعتراه في القرنيين السابع والثامن يأتي دليلاً علي صلته برافينا البيزنطية، مدينة الفنانين والحرفيين ، وخير مثال علي ذلك ما عثر عليه من مخلفات في قبو اللومبارديين ، فقد إستخدموا الزخرفة المتشابكة بالزخرفة البيزنطية ذات الشكل النباتي والحيواني التي كانت معروفة في الشمال الايطإلي " (١).

والحقيقية انه في الغرب " لم يعد أحد يستطيع أن يصور الجسم في ذلك الوقت تصويراً تشكيلياً خالصاً ، بل أن كل شيء كان يقتصر علي الزخرف السطحي المجرد وعلي تشابك الخطوط وكانت الموضوعات المستخدمة في الفن الزخرفي هي الدائرة والخط الحلزوني والأشرطة والخطوط المائلة المتشابكة والأسماك والطيور والأغصان والفروع النباتية"(٢).

والعجز في تخيل الشخصية الإنسانية كما ذكرنا نجده في أوربا في ذلك الوقت حيث نجد ذلك مع الفنانين اللومباردين في شمال إيطإليا " فالمنحات الحجري الذي أنتج الدرابزين الرخامي في كاتدرائية سيفيدال شكل (٣٧) كان يعاني من نفس المشكلة التي يواجهها المعاصرين له مع مشكلة التصوير التشكيلي، فالرموز الإنجيلية تبدو غريبة، حيث أجسام الإنجيليين تمثل مجرد الرؤوس والأجنحةوالفنان لم يدرك انه يخالف نزاهة هذه الأشكال من خلال إقحامها في الأطر المستديرة،مع انه كان لديه إحساس عالي بالزخرفة،مع النموذج المتناظر الأبعاد والمستقيم في شكل قطعة زخرفية " (٣).

كما نري أيضاً في شكل عبادة المجوس شكل (٣٨) من مذبح راتيش ــ لومبارد في كنيسة القديس مارتينو ــ سيفدال في منتصف القرن الثامن بعد الميلاد " والتي

(*) أسم اللومبارديين الباكر كان "Bard" وهو مشتق من الكلمة الجرمانية القديمة " barta" أي فاس ثم أضيف لها بعد ذلك كلمة Lang ، وبذلك صار أسمهم " الرجال ذي الفئوس الطويلة" .

(١) محمود محمد الحويري: اللومبارديون في التاريخ والحضارة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، صـــ٢٣١

(٢) ارنولدها وز : الفن والمجتمع عبر التاريخ ، مرجع سبق ذكره صـــأ ١٧٧

(3) H.w janson op cit p 317

تزخرف جانب من المذبح المهدي من ملك اللومبارديين، ولكن لاندري هل هذا الموضوع كان شائع خلال القرن الثامن ، ومن ضمن العديد من العناصر الأسلوبية المتفرقة فإن الصيغ الأساسية تبدو بربرية، والتكوين هنا يعتمد علي الشخصيات المتجاورة والمرتبة تبعاً للأهمية الدينية، والتي تعتمد بشدة علي الأسلوب، بحيث أن التفاصيل تكرر "[١].

الفن الكارولنجي

" أسس شارلمان إمبراطورية كبيرة مركزها ألمانيا، وتوج البابا إمبراطوراً علي حكام البلاد الغربية المسيحية ، وإحتفاظه بالسلطة الروحية علي هذه البلاد وعرف في الأسرة التي توالت الحكم بعد وفاة شارلمان ٨١٤م . بالأسرة الكارولنجية إلا أن هذه الأسرة دب فيها الضعف بعد تقسيمها في عصر حفيدها شارل حاكم فرنسا ولويس حاكم ألمانيا ، وقد عرف الفن المسيحي الذي ازدهر في تلك الفترة بالفن الكارولنجي"[٢].

وإذا نظرنا إلى الفن الكأورلنجي فنري انه كان محاكاة للكلاسيكية القديمة ، أو أحياء الإستعادة الواقعية أو حركة إصلاح تسعي إلى الإستجابة ضد فوضي البرابرة من خلال العودة إلى تقاليد الإمبراطورية الرومانية.

"فالنهضة الحضارية التي تعهدها شارلمان جذبت إليها وتمثلت فيها العناصر التي ترتبط بتقاليد المسيحية في الجانب الفني ، وبذلك تمخضت جهود شارلمان في أحياء الإمبراطورية الرومانية عن أثر هام هو تدعيم الحياة الفنية في العصور الوسطي وهنا نلاحظ أن الفنون في العصر الكارولنجي تأثرت بالعامل الديني، وقد ظهر هذا الأثر واضحاً سواء في البواعث التي ألهمت الفن الكارولنجي أو في الطابع العام الذي ميز ذلك الفن" [٣].

---

(1) Gemain Be3in,op,cit,p 113

(٢) نعمت إسماعيل علام : فنون الغرب في العصور الوسطي وعصر النهضة والباروك ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ ، صـ١٨ .

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطي ، حـ٢ النهضات والحضارة والنظم، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٠ ، صـ٧٩

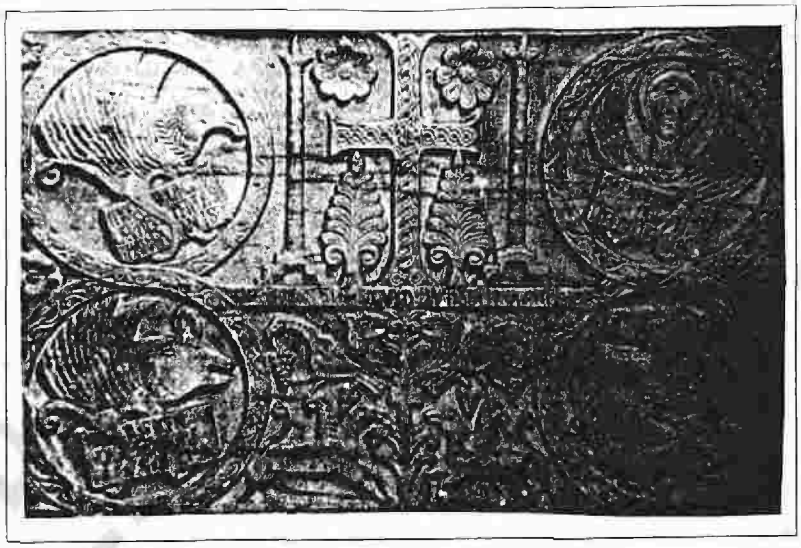

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٣٧	مذبح سيفيدال – كاتدرائية سيفيدال – واجهة المذبح الرخامي	رخام	كاتدرانيه سيفيدال – إيطاليا	٧٣٠-٧٦٠	فن لومباردي

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٣٨	عبادة المجوس – مذبح راينيش – كنيسة القديس مارتينو	رخام	سيفيدال	منتصف القرن الثامن الميلادي	فن لومباردي

وإذا نظرنا إلى الفن الكارولنجي نري "انه قد إستجاب بعنف تجاه عدم شكلية البرابرة الهمج من خلال تقويم للفنون التشكيلية مرة أخرى وتقريبها إلى الفن القديم" [١].

والأعمال العاجية تمثل الدليل علي نوعية الفنون خلال عهد شارلمان وهي تعتمد علي الأسلوب الكلاسيكي.

وتمثال الفارس شارلمان شكل (٣٩) المحفوظ بمتحف اللوفر يمثل محاولة من جانب النحاتين الكارولنجيين في سبيل إبراز العظمة الفنية من خلال الصيغ الإمبريالية، وهي توضح نفوذ هذا الإمبراطور، وهو يمثل تقليد دقيق لأعمال العصور القديمة رغم أن التمثال لا يرتفع إلا مقدار إحدى عشر بوصة.كما أن شكل (٤٠) الذي نري فيه القديس قوي نستشعر من خلاله بالروح الدينية التي تنبعث من الروح الكلاسيكية،من خلال إستعادة للواقعية الكلاسيكية،والواقع أن حركة الأحياء الكارولنجية لم تكن مجرد إعادة كشف للتراث الروماني،فقد اكتفي "عصر شارلمان بتلقي تراث العصر الكلاسيكي القديم، هذا من مصدر غير مباشر إذا كان الفن الروماني المتأخر في القرنين الرابع والخامس والفن البيزنطي في القرون التالية،يكونان مستودعاً للأفكار والصور الفنية،كان عصر شارلمان يستمد فيه نماذجه والهامة "[٢].

---

(1) Gemain Bezin Aconcise Historuy of Art consenvat EUR ENOHEF , AUMUSEE DE LOWVRE LONDON . 1958 147 صـــ

(٢) ارنولدهأوزر : الفن المجتمع عبر التاريخ ، مرجع سبق ذكره ، صـــ١٧٩

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٣٩	تمثال الفارس شارلمان	برنز	متحف اللوفر	القرن التاسع	فن كارولنجي

شكل	أسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٤٠	تمثال القديس قوي – كنيسة القديس قوي	من الأحجار الكريمة والذهب	مدينة كونك	القرن التاسع الميلادي	فن كارولنجي

الفن الأوتوني

في عام ٨٧٠م فإن اثنين من أحفاد شارلمان بدءوا يحكمون أطلال الإمبراطورية، وهم شارلز الأصلع الملك الفرنسي الغربي،ولويس الألماني الملك الفرنسي الشرقي، ولكن قدرتهم كانت ضعيفة فالإمبراطورية كانت معرضة للهجوم،ففي الجنوب كان المسلمون يتابعون بغزواتهم،والمجريين يتقدمون من الشرق ، بينما الفايكنج من المناطق الاسكندنافية يزحفون وينهبون الشمال والغرب فهؤلاء الشماليين (أسلاف النرويجيين) كانوا يغيرون علي أيرلندا وبريطانيا وكذلك شمال غرب فرنسا .

وفي ألمانيا بعد وفاة أخر الملوك الكارولنجيين عام ٩١١م فان مركز السلطة السياسية قد تحول من الشمال إلي ساكسونيا ، والملوك الساكسونيين قد أعادوا تنظيم الحكومة المركزية وأعظم هؤلاء هو أوتو العظيم الذي انتصر علي المجريين وأعاد ميلاد الإمبراطورية عام ٩٥٥م.

"والحكم الأوتوني يهدف إلى إستعادة السلطة في العصر الكارولنجي، ولكن الفن كان مستقل عن البلاط الملكي في المقاطعات التي تخضع إلي حكم القساوسة والأساليب كانت تعتمد علي النماذج الكارولنجية،والتي كانت تقتبس الكثير من النماذج المسيحية مع التركيز علي الشخصيات الإنسانية ، وأهم الأعمال الفنية المنحوتة من العصر الأوتوني الأبواب البرنزية من القرن الحادي عشر من تكليف المطران بيرنارد شكل (٤١) حيث يمتد إرتفاع الباب خمسة أمتار (١٦ قدم) ويتكون من جناحين وتمثل الدليل علي دوام أسلوب الصب الشمعي منذ العصور الرومانية" [1].

فورشة البرنز التي أسسها الراهب بيرنارد في هيلد شايم كانت قادرة علي صب هذه الأعمال وبذلك أنتجت لنا افضل الأعمال النحتية،فعلي الجناح الأيسر توجد ثمانية مشاهد من سفر الرؤيا وعلي اليمين هناك صور مقابلة من العهد الجديد،ونري في أحد التفصيلات" أدم وحواء يخضعان إلى عقاب الرب،والتكوين بأكمله يبدو مقتبس من مخطوطة مزخرفة تصور الزخرفة النباتية الثرية ، والحركات الملتوية المعروفة في الأعمال المصغرة الايرلندية .

---

(1) Portaland House , op ,cit ,PP 277

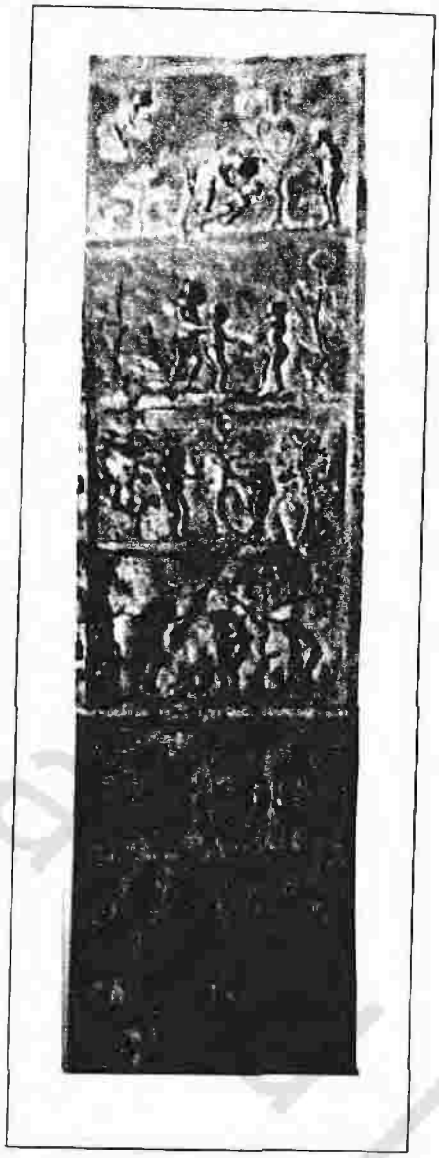

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٤١	أبواب كنيسة القديس برنارد	برنز	هايد الشايم – ألمانيا	١٠١٥م	فن أتوني

والقصة والتاريخ مترجمة من خلال الحقيقة الواضحة والقوة التعبيرية ، وأصبح الرب الذي يشير إلى إدانة أدم وحواء يمثل النقطة المركزية للمأساه،والإصبع موجه نحو أدم الخجول من نفسه،والذي يلقي اللوم علي رفيقه حواء،التي بدورها تلقي اللوم علي الشيطان الثعبان ، ونفس شدة النظرات والحركات هي التي تميز الأعمال المصغرة الأوتونية،حيث تنصهر العناصر الكارولنجية والبيزنطية من خلال الأسلوب الجديد في معالجة البوابات " (١) .

ونري علي هذه الأبواب الشخصيات صغيرة،ولكنها مليئة بالحركة والجدة وخلفيات النحت الغائر تكشف عن الأسلوب النموذجي للرومانيسك،وتكشف عن الفراغ والمساحة من خلال الزخرفة، والمطران برنارد هو صاحب التكليف بإنتاج العمود البرنزي شكل (٤٢) الذي يرتفع أكثر من ثلاثة أمتار (١٢ قدم) ونري من خلاله الأشكال التي تعتمد علي النحت الحلزوني،ويعرض ٢٨ مشهد من حياة المسيح وهو يذكرنا بعمود تراجان من حيث الشكل،ولكن إذا نظرنا إلى النحت علي الأبواب البرنزية والنحت علي الأعمدة لوجدنا أن أعمال النحت علي الأبواب أفضل من حيث التنفيذ والتشطيب وتبدو حية وقريبة من النماذج الكلاسيكية،والنحت علي الأعمدة يبدو بدائي والنحت في الخلفية يتناقض مع النحت الأمامي، ومن أفضل أعمال الفن الأوتوني هو الغطاء الذهبي للمذبح في مدينة بازل شكل (٤٣) والفنان الذي انتج غطاء المذبح قد أعاد اكتشاف جلال الأسلوب الكلاسيكي من خلال التعبير عن العالم الإلهي،وهذا العمل من إنتاج النحات الخشبي الذي نحت القلب الخشبي وعامل الذهبي الذي كان يطرق الطبقات الذهبية بالمطرقة علي القلب ، وأعمال الحفر الخشبي وعامل الذهبي الذي كان يطرق الطبقات الذهبية بالمطرقة علي القلب ، وأعمال النحت الخشبي تعتمد علي خصائص النحت،والأوراق الذهبية التي كانت تغطي هذا العمل قد أزيلت لصغرها وكل ما يتبقى الآن هو القلب الخشبي المحفور بدقة كما لو كان عاج

---

(1) Editon Aimery: History de L' art ponoraa des arts plastique desoigines a nauseous, Paris o 1964,p 203

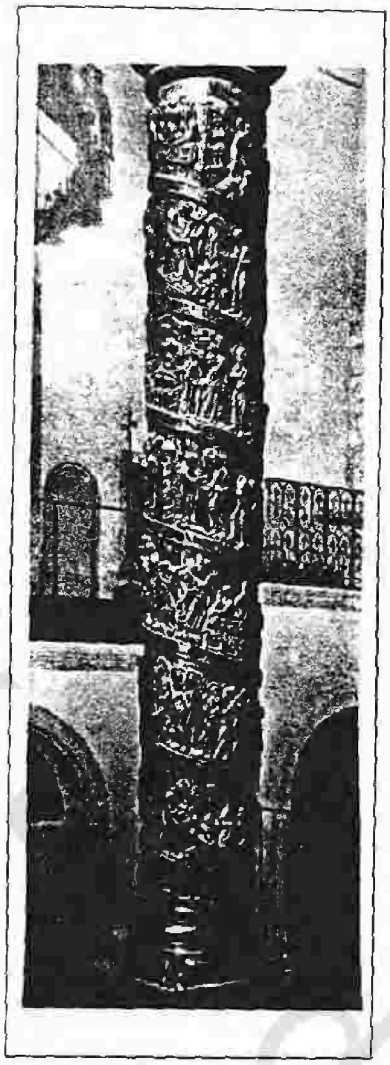

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٤٢	العمود البرنزي	برنز – ٣م	ألمانيا	القرن العاشر	فن أتوني

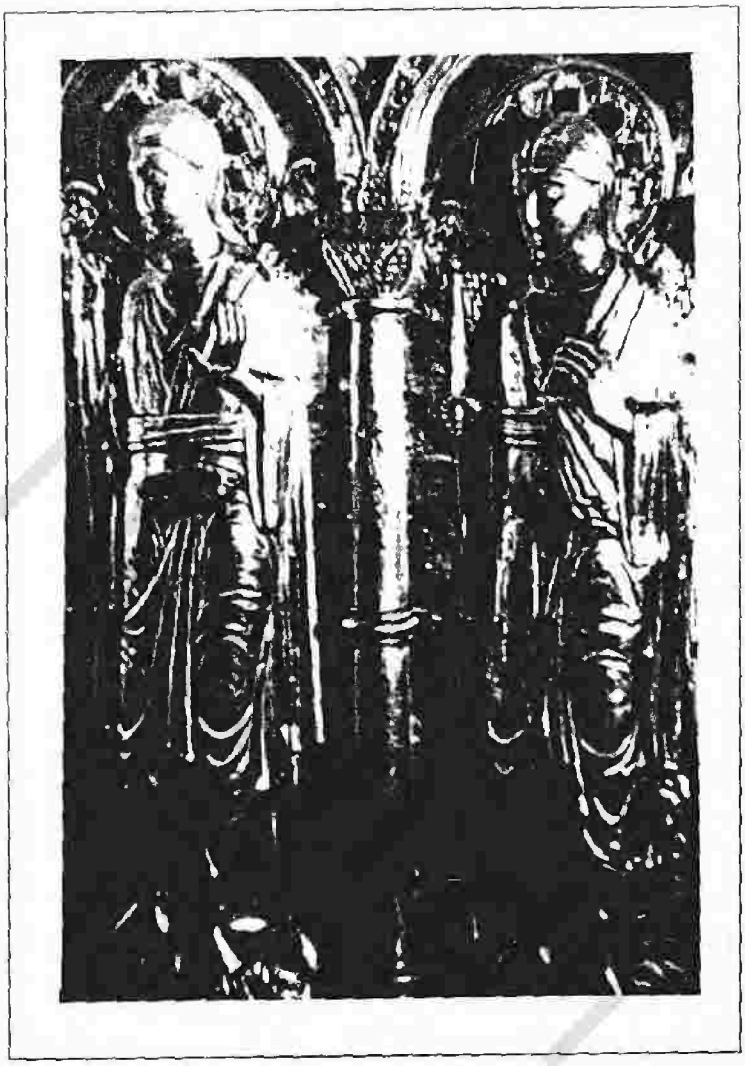

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٤٣	غطاء المذبح-مدينة بازل	من الأحجار النفيسة والذهب	متحف كلوني	١٠٠٢-١٠١٩	فن أتوني

" وفي كاتدرائية كولونيا نري المسيح جيرو ٩٦٩ ــ ٩٧٦ شكل (٤٤) ونستشعر صورة المنقذ المصلوب الجديد علي الفن الغربي ، في حجم أثري كبير ومحفور من خلال الأشكال المستديرة ، والإهتمام البالغ بمعاناه السيد المسيح إلى جانب ميل الجسم إلى الأمام والذي يمارس الضغط أو الشد علي الأكتاف،والوجه محفور بعمق ذو الملامح القاطعة الذي يكشف عن العذاب ، ولكن كيف توصل الفنان الأوتوني إلى هذا المفهوم الجريء ؟ لا يظهر لنا سوي أنه ترجمة للصورة البيزنطية من خلال الأبعاد النحتية الكبيرة وإستبدال العاطفة الرقيقة من خلال الواقعية التعبيرية والتي كانت تمثل التأثير الأساسي للفن الألماني" (١) .

ومن هنا نري أنه في ظل رعاية القس بيرنارد ، كان لابد للنحت أن يسلك الإتجاه الأثري مع تأسيس العديد من ورش الصب البرنزي التي أنتجت لنا الأبواب البرنزية والأعمدة،ويبدو أن زيارته إلى روما أدت إلى حاجته إلي الأعمال البرنزية وهي تمثل الإبداع العبقري للفنانين الأتونين، حيث تمثل الصلة الحية مع العهد الكارولنجي،وفي ذات الوقت تمهد للأعمال الحجرية التحتية الرومانيسكية .

وهذه الصلة واضحة من خلال الأساليب المتعددة،والتي تتضح علي الأبواب البرنزية،والمفهوم التصويري عن طرد أدم وحواء من الجنة،وإرتباط الأسلوب الخداعي للأعمال الكأورلنجية من خلال الخطوط المنسابة،والحركات السريعة،والحركات المعبرة، وكل ذلك يميز الأسلوب الصاعد في الفن الرومانيسكي،ومثل هذا التحول كان يحدث في أنحاء أخرى من أوربا خلال القرن الحادي عشر .

المفاهيم الإجتماعية خلال العصر الرومانيسكي وأثرها علي الفن

"لقد إستمدت الكنيسه من أسبقية الإيمان علي المعرفة الحق في وضع المبادئ الموجهة للثقافة،وتحديدها بطريقه مطلقة،لا نقص فيها،ولا إبرام،ولم يكن من الممكن أن تظهر مثل هذه النظرة المتجانسة،المقفلة علي ذاتها،إلي الحياة،وأن تتوطد دعائمها، إلا في صورة"ثقافة متسلطة قاهرة"تماماً،وتحت ضغط جزاءات كتلك التي كان في إستطاعه الكنيسه أن تفرضها،ما دامت هي وحدها التي تملك وسائل الخلاص.ولقد كانت القيود

---

(1) H.W Janson,op,cit,p325

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٤٤	صلب جيرو – المسيح علي الصليب	خشب مذهب وملون	كاتدرانيه كلوني	أواخر القرن العاشر	فن أتوني

الصارمة التي فرضها الإقطاع بمساعدة الكنيسة علي تفكير العصر ومشاعره، هي التي تفسر الطابع المطلق في المذهب الميتافيزيقي،كما أن النظام الإجتماعي كان بعيداً عن التسامح إزاء الحريات الفرديه،والمذهب الميتافيزيقي فرض في الميدانين العقلي والروحي ،نفس مبادئ السلطة والتسلسل في المراتب التي كانت كامنة في التركيب الإجتماعي عن العصر" (١).

والمجتمع في ذلك العصر تألف من ثلاث طبقات : أولهم طبقة الفلاحين المشتغلين بالأرض،وطبقة المحاربين الفرسان الذين يتملكون أراضيهم علي أسس إقطاعية،نظراً لقيامهم بالخدمات الحربية،وأخيراً طبقة رجال الدين المسئولين عن الأوامر والتعاليم التي تتضمن سلطة النظام القائم،والتي تئد أية شكوك تدور في الأذهان حول الصحة المطلقة للأوامر والتعاليم المستمدة من أن طبيعة العالم نابعة عن الإرادة الإلهية،والحقيقة أن رجال الدين كانوا المسئولين عن أيقنوغرافية الموضوعات الدينية التي كانت تكسو الأديرة والكنائس .

ونجد رجل الدين يبدأ حياته في مدرسة تابعة لدير كبير ، ثم يأخذ في التدرج حتى يصل إلي منصب راهب الدير ، وحياة الدير تتطلب إعتزال العالم،وهروباً من مغريات الحياة،وفيها يختزل الراهب أمور معيشته ويعيش في عزلة،وهذه العزلة والبعد عن الحياة أدي إلى إثارة الخيال ، وإبتكار رؤى جديدة لعالم قدسي جليل ومن هنا بدأ إطراح كل ما هو طبيعي وإحلال ما هو فوق الطبيعي " وهكذا عاش الفنان الرومانيسكي في عالم الأحلام ، تتراءي له فيه أشجار الجنة وأطياف الملائكة الذين يعمرون السموات وزبانية الجحيم وهي أشد واقعية من أي شيء يراه في حياته اليومية، وعلي الرغم من أن بصره لم يقع قط في حياته علي مثل هذه المخلوقات ، فهو لم يخالجة الشك في وجودها،ولا مراء في أن الوحوش التي وردت خواصها المرعبة في المنحوتات ، قد عاشت هذه المخلوقات الخيالية جنباً إلى جنب في أحراش الخيال حيث غدا الشاذ مألوفاً والخرافي عادياً(٢).

---

(١) أرنولد هاوزر : الفن والمجتمع عبر التاريخ " ، مرجع سبق ذكره ، صـ ٢٠٩

(٢) ثروت عكاشة : العين تسمع والأذن ترى : فنون العصور الوسطي ، مرجع سبق ذكره صـ ٣٥

وفضلاً عن إصطباغ الثقافة كلها بالصبغة الكهونتية ، أصبح الفن إمتداد للفرائض الإلهية ولم يعد موضوعاً للمتعة الجمالية،ومن خلال طبيعة الحياة والظروف الإجتماعية والإقتصادية ،كما أن طبيعة الصفوة المختارة من رجال الدين المنعزلة عن العالم أدت بلا شك إلى إتجاه ونظرة اكثر دينامية،وإتجاه تعبيري أدي إلي المبالغات في طريقة الوصول إلى التأثيرات المطلوبة في التعبير عن الحركة والإنفعال مع الأشكال والإتجاه نحو عالم تعبيري،والحقيقة أن هذا ما يفسر " المبالغات في طريقة الوصول إلى التأثيرات المطلوبة كالخروج علي الأبعاد الطبيعية،والتكبير المفرط للأجزاء المعبرة في الوجه والجسم،ولا سيما العينين واليدين والمبالغة في الحركة والإنحناءات الزائدة عن الحد،والأذرع المرفوعة إلى أعلي والأرجل المتشابكة بطريقة راقصة" (١).

ومن هنا أصبح الفن الرومانيسكي يهتم فقط بالتعبير عما هو روحي ، يتمشى فقط مع منطق الرؤيا الداخلية،وأصبحت الأشكال رموزاً وعلامات مجردة تسعي إلى التعبير عن العالم العلوي والسعي وراء الأعلى بطريقة مباشرة .

النحت خلال العصر الرومانيسكي

"القرن الحادي عشر والثاني عشر ، قد شهد التطور في نمو الكنيسة وبعض نظم الكنيسة وحسب كلمات المؤرخ رودلفوس جرير " إن الكرة الأرضية بأكملها تحصل علي غطاؤها من الرداء الأبيض للكنائس والإمتداد الهائل للمبني الذي يعتمد علي الأعمال المصورة والمنحوتة خاصة النحت الحجري" (٢).

والواضح أنه لا يمكن تحديد موقع وتاريخ حركة الأحياء للنحت الحجرية ولكن اذا كان هناك منطقة تطالب بأحقيتها في هذا المجال فإن الطريق من الجنوب الشرقي في فرنسا إلى شمال أسبانيا علي امتداد طريق الحجاج والذي يؤدي إلى كنيسة القديس جاك دي كومبستيلا هو الأحق في ذلك لأن النحت المعماري الخاص بالكنائس كان هناك علي جدرانها يخاطب المؤمنين ورجال الكنيسة .

---

(١) ارنولد هأوزر ك الفن والمجتمع عبر التاريخ مرجع سابق ، صـ٢١٥

(2) Nathaniel Herris : Picture History of World art, Hamlyn, New York ,1973, P278

والإمتداد الهائل للمبني الذي يعتمد علي الأعمال المنحوتة الحجرية ، من خلال طرق الحج إلى المحراب المقدس في سانتيا جودي كومبستولا في شمال أسبانيا ، كان يضم العديد من الأساليب الفنية التي تعكس الإختلافات الإقليمية وتأثير المؤثرات الكارولنجية والأتونية والبيزنطية ، خاصة بعد أن تحررت أوربا من الغزو والحركة أتجهت للقدس" (١).

"ولم تبدأ المظاهر الأولى لفن النحت في فرنسا إلى في أواخر القرن العاشر، حيث ظهرت آثاره في أشكال عميقة المعني ، وقد إنتهت المحاولات الطويلة في المصانع البدائية إلي التعبيرالناجم عن الفكرة التي أوحت بالآثار الهامة ،ففي العصور الوسطي استرشد الفنانون بالأساقفة ورجال الدين في اقتباس موضوعاتهم الفنية من الكتب المقدسة ومن قصص القديسين وأصبحت مهمة النحات ، عندما صرح له بزخرفة الكنائس التعبير ، عما تولي غيره التعبير عنه وإذاعته من التعاليم الدينية فترجم ذلك عن طريق صور وأشكال تتصل اتصالاً وثيقاً بالفن المعماري لعصره واندمج فيه اندماجاً تاماً " (٢) .

"ولقد نشأت إختلافات في هذا النحت من جراء تأثر الفنانين،وبمصنع من المصانع،ونوع من النماذج عن النوع الآخر،وكان من نتيجة ذلك ظهور إتجاهات متنوعة لكيفية إظهار الملابس أو الشعر أو الجسم الإنساني في الآثار المنحوتة أو في الأساليب الخاصة التي امتازت بها كل مدرسة من مدارس النحت التي نشأت وتقدمت في القرن الثاني عشر" (٣).

النحت الرومانيسكي في أوائل القرون الوسطي

عند النظر إلي الأعمال النحتية التي تميز الأعمال الأخيرة للفن الأتوني عن أعمال بداية العهد الرومانيسكي،يتضح لنا مدي إتساع الفجوة الثقافية بينهما،فالعظاء الذهبي للمذبح شكل (٤٣) من العهد الأتوني وشكل (٤٥) الذي يمثل العتبة العلوية لباب كنيسة القديس جينيس دي فونتين ١٠٢٢ م فالأشكال والشخصيات المنحوتة في مدينة بازل تعتمد علي

---

(1) Nathamiel Herris ,op, cit, PP 278

(٢) نخبة من الكتاب : محيط الفنون ، مرجع سبق ذكره صـ ٢١٢

(٣) المرجع السابق ، صـ٢١٢

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٤٥	الواجهة الامامية – كنيسة القديس جنيس دي فونيتن	حجر	كنيسة القديس جنيس دي فونيتن	١٠١٩– ١٠٢٠	فن رومانيسكي

الجماليات المرئية الخداعية القديمة وهي تنتصب في المساحات الكبيرة المخصصة لها وهي بذلك تتناقض بشدة مع الأشكال التي تعتمد علي المعالجة الزخرفية البحتة في كنيسة القديس جينيس دي فونتين،والشخصيات المنحوتة علي المنطقة الوسطي المركزية لواجهة الكنيسة تترابط مع بعضها البعض من خلال علاقات تكوينية بنائية مركبة،بينما تماثيل الحواريين المنحوتة علي الجانبين تبدو متوافقة ومتجانسة أسفل القناطر، وتسود أشكالها وتطغي علي الشخصيات الإنسانية المنحوتة ، والواجهة الأمامية لهذه الكنيسة يمثل واحد من الأعمال الأولي القديمة التي تتضمن أشكالها المنحوته والمتوافقة والملائمة تماماً مع الطراز المعماري،وهي تتقاسم نفس الروح السائدة في بداية الفن الرومانيسكي، ونضوجها التكويني يبشر بالفن القادم .

وهذه الواجهة تكشف عن المحاولة الأولى المترددة في مجال النحت الرومانيسكي، فصورة المسيح الواعظ الجالس علي العرش والملائكة الأثنين الحاملين للعرش، والأجنحة الممتدة، والأجسام الملتوية، تملأ تماماً المساحة المخصصة لها، لأن النحاتين خلال العصر الرومانيسكي لم يكونوا يتركون أي مساحات خالية .

والنحت الرومانيسكي كان يتواءم مع الفن المعماري في علاقة تكاملية لتحقيق الغرض المعماري في ظل حركة التعاقب الإيقاعي للأساليب الفنية .

" فالنحت الرومانيسكي كان يخضع لمبدأين أولهما أن المشاهد المنحوتة تدين في تكوينها لشكل الإطار الذي ينظمها، ونري ذلك في مشهد مائدة العشاء الرباني ومشهد عروس قنا، فإذا كان الإطار الذي ينظمها مستطيلاً جاء ترتيب رؤوس الشخوص يتفق مع شكل المستطيل شكل (٤٦ــ أ) وإذا كان الإطار مستديراً كما هي الحال في حشوه العقد تدرجت الرؤوس لتأخذ شكل هرمي شكل (٤٦ــ ب) وإذا كان الإطار شبه دائري كما هي الحال في مدخل الكاتدرائيات ، إتخذت المائدة والشخوص شكلاً شبه دائري، وثانيهما تكون فيه الشخوص علي شكل هندسي ذي طابع زخرفي ويتجلي في الشكل التوزيع الجامد الذي يوحيه شكل العمود ، ولذا إعتاد الفنانون في أواخر العصر الرومانيسكي أن يصححوا منحوتاتهم وفق أشكال تجريدية بسيطة" [١]

---

(١) ثروت عكاشة : العين تسمع والاذن تري ، فنون العصور الوسطي، مرجع سبق ذكره ، القاهرة، صـــ٣٠

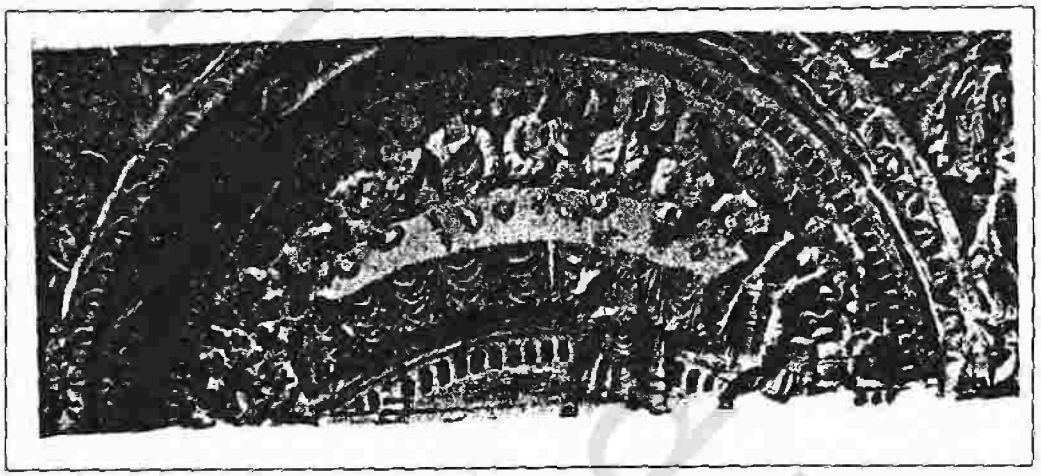

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٤٦	عروس قنا – حشوة العقد	حجر		١٠٣٠	فن رومانيسكي

كما أن الفنانين في بداية القرون الوسطي كانوا يتطلعون إلي تحقيق الوظيفة أو الغرض المعماري من خلال أحياء النماذج القديمة التي سادت في العصور الوسطي من خلال بناء تاج عمود في شكل مكعب بسيط ، إلا أنه بعد ذلك ظهر التحديث في أسلوب معالجة تاج العمود،فالشكل المعقد لتاج العمود كان يمثل التحدي المحفز للفنانين لأنه لم يكن هناك تقليد تصويري إجباري من شأنه تقييد حرية نحاتين تيجان الأعمدة .

ونري في شكل (٤٧) تاج نحتي يكشف عن أسلوب فج،وهو يكشف عن المعالجة الأولى للأشكال الإنسانية وهي تبدو مدهشة، "وعلي الرغم من المحاولات البدائية المعقدة فقد أتضح بشكل محسوس منذ النصف الأول من القرن الحادي عشر أن هذا الفن الهادف إلي التوفيق بين الزخرفة التاريخية وبين الأشكال المعمارية ينطوي في بدايته علي حيوية نادرة تتطور تطوراً مجيداً ، وبذلك بدأ شئ جديد في فن النحت المسيحي ، أخذ الفنانون يستعيدون من خلاله الفنون المفقودة ونشأت تحت تأثير البيئة وظروفها مدارس ومصانع إتخذت لنفسها مجموعة من النماذج،وكان رجال الدين المكلفون بوضع برامجهم التصويرية الأيقنوغرافية يقتبسون عناصرهم من الكنوز الموجودة في الكنائس التي كانت تابعة لهم " (١)

مدارس فن النحت الرومانيسكي في فرنسا

مدرسة مقاطعة لانجدوق (LANGEDEC)

"كانت مدينة تولوز Taulouse في القرن الحادي عشر مركزاً خصباً وعاملاً هاماً إزدهرت فيه الفنون والأدب،وقد إزدانت كنيسة سان سرنان (st sernin) وكنيسة سان إيتين (st Etinne) بعدد كبير من الآثار المنحوتة والتي لا تزال موجودة حتى الآن" (٢)

وتطالعنا مدرسة لانجدوق من جانب النحات بيرنارد جليدوين الذي حرر توقيعه علي مذبح القرابين في كنيسة القديس سيرنين في مدينة تولوز،والتي إنتهي العمل بها عام ١٠٩٦م وهو أيضاً الفنان الذي انتج الأشكال المهيبة للحواريين والملائكة المصاحبة

---

(١) نخبة من الكتاب ، محيط الفنون ، مرجع سبق ذكره ، صـ٢١٢

(٢) المرجع السابق ، صـ٢١٣

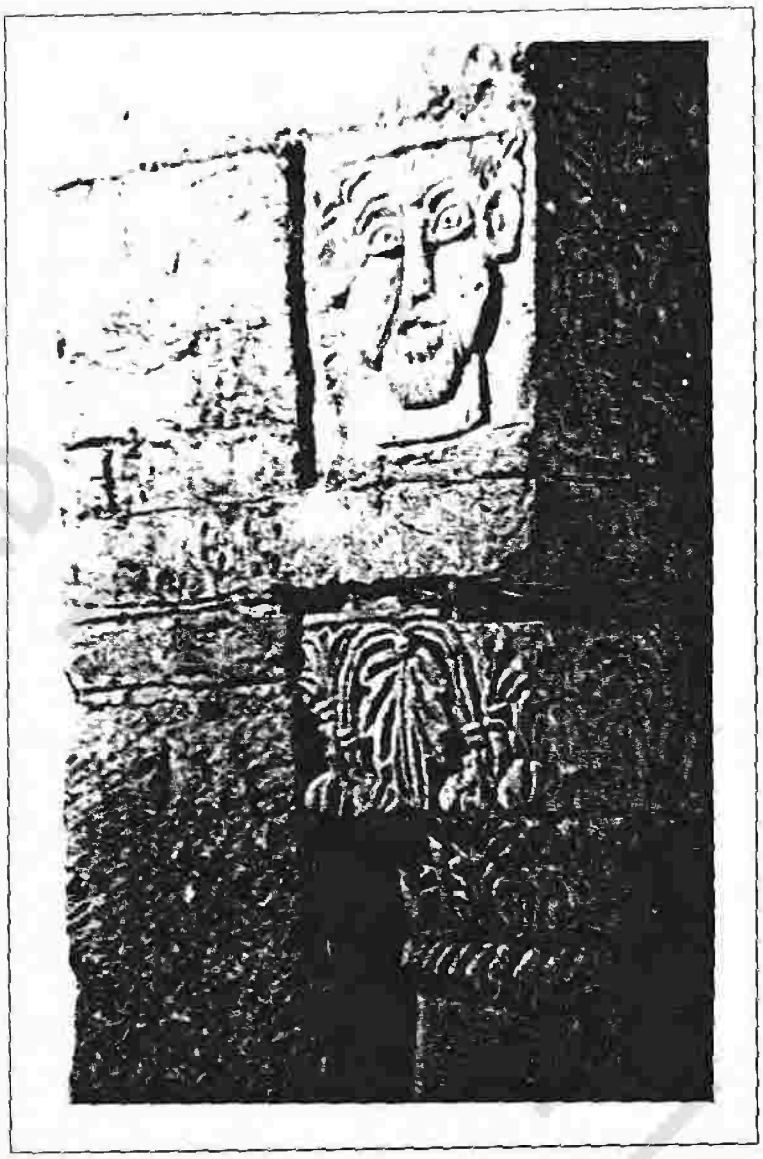

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٤٧	تاج عمود القديس فيلبر	حجر	تورنوس	أواخر القرن العاشر	فن رومانيسكي

لجلالة المسيح والمحاطة برموز القديسين ، في صحن نفس الكنيسة ، والتفاصيل في عمل الفنان جيلدوين تكشف عن التأثر بحرفه صياغة الذهب ، حيث الحلي الزخرفية علي شكل أزهار.

والحواري في كنيسة سيرنين شكل (٤٨) يشهد الأحياء المبكر للنحت المعماري الأثرى في مدرسة لانجدوق ، وهذا الحواري ينتسب إلي نهاية القرن الحادي عشر والنموذج الكلاسيكي يعتمد علي العاج البيزنطي ، والشكل الإنساني متوافق تماماً ويملأ المساحة المحدودة للإطار واذا كان البعد الثالث يفتقده الشكل الإنساني إلا أنه يتحقق من خلال مجموعة من المستويات والمسطحات،التي تتضمن أشكال متعرجة في الفراغ ونري أن النحات قد ضحي بالطبيعة والتحليل النفسي للشخصية في سبيل إبراز الجوانب الأثرية المعمارية .

وبالرغم من أن العمل يحتوي علي شخصيات تبدو مختلفة ومستقلة عن بعضها البعض،إلا أنها ترتبط بالشخصيات الأخرى في إطار التصميم البنائي العام،وهذه المحاولة الأولى لتحقيق الوحدة بين الشخصيات المجموعة المنحوتة،وهذه الوحدة هي التي تميز مدرسة لانجدوق .

ومن أشهر الكنائس التي تميز مدرسة لانجدوق كنيسة القديس بطرس بمواساك ونري بها منظر يمثل يوم القيامة يتوسطه السيد المسيح متوجاً أو جالساً علي العرش، وهو في حجمه أكبر من باقي الأشخاص،وحوله جليل رهيب في مظهره وسط ملائكة مستطيلي الأجسام ، وتحوطه الأشكال الرمزية للرسل الذين دونو الإنجيل وشيوخ كتاب الرؤيا وزينت جوانب البوابة بتماثيل لأسود متقابلة كل إثنين منها يتواجهان،وتؤلف هذه البوابة منظراً زخرفياً لا مثيل له في النحت الرومانيسكي، وقد إعتني الفنان ووجه إهتمامه بصبغه خاصة،إلا أن يحقق في هذه البوابة مجموعة زخرفية متألفة" [١]

والقوصرة علي الممر الجنوبي واحدة من القوصرات الشهيرة في الفن الرومانيسكي شكل (٤٩) ونري المسيح في جلالته محاط بالرموز عن الإنجيليين وحجمها الهائل

---

(١) نخبة من الكتاب : محيط الفنون ، مرجع سبق ذكره ، صـ٢١٣

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٤٨	برنارد جلدوين – الحواري	رخام	كنيسة القديس سيرنين	أواخر القرن الحادي عشر	فن رومانيسكي

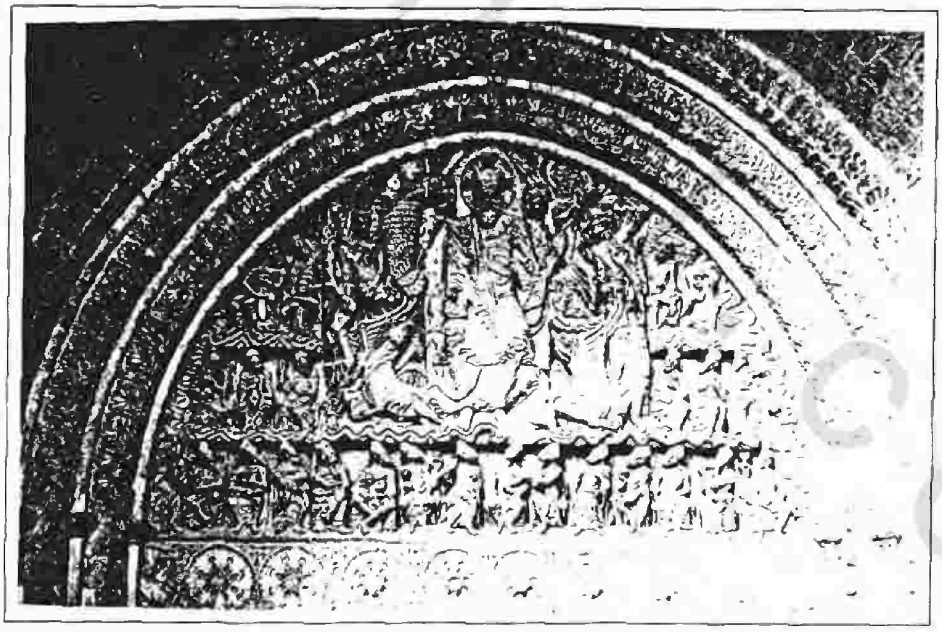

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٤٩	القدوم الثاني للمسيح – قوصرة الممر الجنوبي – كنيسة القديس بطرس	حجر	مواساك	١١١٠م– ١١٢٠م	فن رومانيسكي

وتفاصيلها الدقيقة في التنفيذ من حيث ثنايا الملابس المنحنية والمستقيمة كذلك جودة التكوين التي تميز مدرسة لانجدوق .

كذلك " نري ثراء الإبتكار في الشكل الذي يوضح العمود المركزي الذي يحمل العتبة العلوية للبوابة،والواجهة الغربية في مركز القس مواساك حيث تعتمد علي الزخرفة الورديه،أي الزخرفة بياقات الزهور ، كذلك الأعمدة النصفية تتبع نفس الأسلوب ونري النبي المنحوت شكل (٥٠) علي الجذع له هيئة متوافقة جداً مع الزخرفة الوردية وهو يمكنه أن يبدو متعارض القدمين في حركة راقصة وهو يدير رأسه داخل الكنيسة" (١)

وهذا الشكل للنبي أرميا المصور في شكل الراقص يشهد علي التطور الأسلوبي في نحت لانجدوق،حيث تطورت من تصوير الوجوه والأشكال الجامدة إلي الشكل الطويل للنبي أرميا،الذي له تعبيرات من رأسه تدعو إلي التأمل.

وتوجد بعض الأسود متقابلة تتخذ بشكل تخطيطي متعرج ومتناسب الأبعاد ويبدو أنها هناك في سبيل إضفاء الحياة علي المضمون،مثل الحيوانات،والوحوش المتزاحمة في الأعمال المصغرة الايرلندية ، والنحات هنا إستلهم منها الكثير خاصة حركة النبي ووجود هذه الأعمال في مدينة مواساك لا تجد له تفسير فقط علي ضوء الدور الزخرفي لها فهذه الأعمال تنتمي إلى الكائنات المتوحشة،والوحوش التي يتخيلها الفن الرومانيسكي ولذلك فإن هدفها ليس زخرفي ولكن تعبيري حيث أنها تجسد القوي الغامضة .

وفي شكل (٥١) لأشعيا في كنيسة سوياك ١١٣٠ ــ ١١٤٠م فإن الإيقاع الحي يصبح محموم وصورة أشعياء الذي يتنبأ بقدوم العذراء يحتل ويمتد علي سطح العمل ، ونري الحركة فيها ، والنسب فيها مبالغة ، وثنايا الملابس معالجة بشكل زخرفي وتعبر عن الحركة ، كذلك المبالغة في حركة اللحية والصحيفة التي يمسك بها غير طبيعة فهي رمزية لهدف معين وهو الرسالة التي يؤديها النبي، والأشكال التي توضح فن النحت الرومانيسكي نستشعرها من خلال الملابس المتجعدة ، وهنا نري أن فنان الرومانيسك

---

(1) Edition aimety,op,cit,PP222

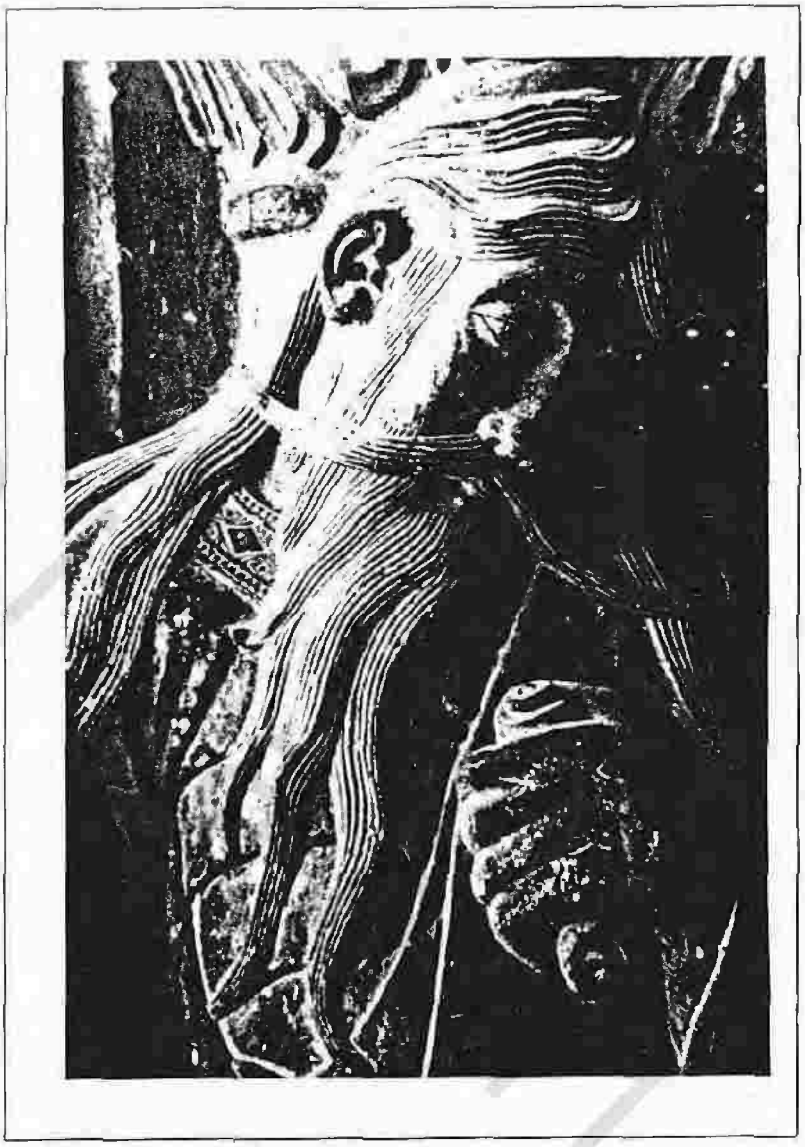

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٥٠	رأس النبي أرميا – القديس بطرس	حجر	مواساك	بداية القرن الثاني عشر	فن رومانيسكي

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٥١	إشعياء	حجر	سوياك	١١٣٠-١١٤٠	فن رومانيسكي

أتاح الحرية من خلال التفاعل المتبادل بين النماذج الخطية،والتفاصيل الإيقاعية الزخرفية،ويبدو أن الأعمال المنحوتة في كنيسة سوياك تقتبس الكثير من أعمال كنيسة موساك ومقدمة البوابة الأمامية لكنيسة سواياك شكل (٥٢) والتي تصور الحيوانات الخيالية فإن فنان هذا العمل قد عمل علي إزدحام المخلوقات الخيالية المصورة علي إجمالي سطح العمل،أو ذلك حتي يلبي متطلبات تناسب الأبعاد والاحجام والأشكال الكبيرة ، بحيث يكون لدي النحات الحرية في طيأحجام مخلوقاته كيفما يشاء .

ومن هنا نري انه " ومن خلال اللمسات الحية نجح الفن الرومانيسكي في تقديم الأشكال إلي النحت الذي أهمل نظراً إلي تفضيل البرابرة والهمج للتجريد،ومع ذلك فإن ممارسة النحت لم تكن خصيصاً من أجل النحت،ولكن هذا النحت طرأ عليه التعديل بحيث أصبح وسط للتعبير عن الإيقاعات الزخرفية البحتة،وأن فناني الرومانيسك كان لديهم خيال خصب لإبتكار كافة النماذج النحتية،حيث الشكل الإنساني يتألف من عناصر متخذه ومستعارة من عالم النباتات والحيوانات والأساطير الخرافية عن خلق الوحوش، حيث أن هناك قدر من الحيوية علي هذه الأشكال والشخصيات " [1]

ومدرسة لانجدوق شهدت الأحياء المبكر لهذا النحت،والتي تميزت بالجودة في التصميم البنائي لتحقيق الوحدة بين شخصيات المجموعة من خلال التفاعل المتبادل بين النماذج الخطية والتفاصيل الإيقاعية الزخرفية .

مدرسة مقاطعة بورجندي Bourgogen

"في الوقت الذي أبتدأ فيه النحت في مقاطعة لانجدوق (Languedoc) ظهر في مقاطعة بورجونيا (Bourgogne) وعلي ضفاف نهر الرون (Rhone) بعض بوابات وتيجان أعمدة منحوتة لا تزال بدائية وذات طراز ينتمي إلي الخيال.
وفي سنة ١٠٢٥ م إزدهر فن أرقي وأخصب إجتهد فيه الفنان أن يستعيد الصور القديمة وإقتبس موضوعات جديدة وكانت في أديرة أوتان (Autun) وأديرة كلوني (cluny)

(1) Gemain Bazin : Aconcise History of Art. op, cit, PP 164

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٥٢	مقدمة البوابة الأمامية – كنيسة سوايلك	حجر	سوايلك	١١٣٠-١١٤٠	فن رومانيسكي

وفزليه (vezelay) ومصانع كبيرة لفن النحت،وقد إتبع فيها طراز خاص بمقاطعة بورجونيا يمتاز بالحياة والرشاقة والأناقة" (١)

وبدايات مدرسة بورجنديان لا تتضح لنا نظراً إلي الدمار الكامل لدير كلوني والذي يضم أعمال الفنان القديس هوج ،"والبورجونديين ليسوا خبراء في فن التكوين علي عكس أساتذة لانجدوق ، لأنهم أقل ميلاً إلي التجريب الشكلي،ويميلون أكثر إلى التعبيرية" (٢)

وسوف نتعرض لأعمال النحت لمدرسة بورجونديان من خلال أديرة كلوني(*) وفيزلي وكنيسة أوتون .

ديركلوني Cluny

"لقد اتجه أسلوب الحياة في العصور الوسطي إلي نظام الأديرة التي كانت أكبرها وأجلها شأناً هو دير كلوني بفرنسا ، وكان كغيره من الأديرة عالماً مصغراً يضم قطاعاً كاملاً لمجتمع ذلك العهد ، يجمع بين جدرانه رجال الفكر الذين بلغوا جوهر المعرفة،فزهدوا عن ملزات الحياة جنباً إلي جنب مع الكادحين الذين لا يعرفون من شئون الحياة ما هو أبعد من ديارهم " (٣)

وكلوني هي مركز فني لأنها كانت موقع الحياة الدينية " وتقع كلوني في وادي جميل يسهل الدخول إليه من جانب الزائر،وهي تحتوي علي ثرواتٌ الخشب والحجر وعروش العنب والكروم والقمح،ولكن لا تعود أهميتها إلي هذه الثروات ولكن إلي تعاقب العديد من الرجال الذين كانوا رهباناً عليها منذ تأسيس المدينة عام ٩١٠م "(٤)

وكلوني قصر خيري وهوج المبجل هو الذي عمل علي تأسيس مقر رئيسي لدير كلوني وجعل من مدينة كلوني رأس علي المدن والكاتدرائيات الأخرى .

---

(١) نخبة من الكتاب ، محيط الفنون ، مرجع سبق ذكره، صـــ٢١٤

(2) Gemain Bazin : op, cit, pp 167

(*) هي بلدة فرنسية وقد إشتهرت بالتقوى والورع.

(٣) ثروت عكاشة : العين تسمع والأذن تري ، العصور الوسطي ، مرجع سبق ذكره صـــ٣٣

(4) medicine de france : 12,1950,PP17

"وكان يوجد عدد أكثر من ٤٦٠ من الرهبان،وفي القرن الثاني عشر فإن كلوني كانت تمثل الدير الأم الذي يرأس عدد ١٤٥٠ من الكاتدرائيات منها ١٣٠٠ في فرنسا بينما الباقي في الدول المحيطة، والسجلات عن مدينة كلوني تشير إلي هذه التفاصيل عن الرهبان الذي تعاقبوا علي الكاتدرائيات،إلي جانب المراجع الأدبية والتي تتناول العديد من جوانب الحياة الدينية "[١]

ونحن إذا تتبعنا التكوينات النحتية في دير كلوني فإن قوصرة البوابة الأساسية للكنائس الرومانيسكية تمثل تكوين مركزي حول عظمة المسيح وكذلك مشهد الحساب الأخير والتي تمثل المشهد الرهيب في الديانة المسيحية .

"وفي كاتدرائية أوتون هذا الموضوع قد عولج من خلال التعبير القوي وتفاصيل شكل (٥٣) يوضح النصف الأيمن من القوصرة التي تصور الأرواح ، ففي الجزء السفلي ينهض الموتي من القبور بينما بعض الموتي يتعرضون إلي هجوم الثعابين علي سبيل العقاب ، وفي الجزء العلوي فإن مصير هؤلاء الموتي موضوع في الميزان مع وجوه الشياطين التي تجذب كفة الميزان ، والملائكة تجذب الكفة الأخرى ،وأرواح العدالة تتدلي مثل الأطفال ترتدي ملابس الملائكة التي تحميها بينما الإثنين يقودهم الشياطين والزبانية إلي الجحيم،وهذه الشياطين كائنات مركبة ذات مظهر إنساني ، ولكن لها أرجل العصافير، ولها سيقان كثيفة الشعر، وكذلك ذيول ، وآذان مدببة وأفواه رهيبة هائلة وتعتمد علي إرتكاب العنف الذي لا حدود له ويبدو أنهم يستمتعون بذلك ، وأي ناظر يقرأ ما هو محرر علي الرخام سوف يشعر بالرهبة عند الدخول إلي هذه الكنيسة" [٢]

ومن هنا نستطيع أن نري التصوير النحتي للأرواح،فمصير الملعونين يتضح من خلال التعبير الدرامي، بالمقارنة بسعادة المباركين،والفن الرومانيسكي هنا يشجع الناظر إلى الحياة الفاضلة من خلال الترويع من مشاهد التعذيب التي تنتظر السالكين للمسار الخاطئ،والتكوين النحتي هنا يخضع لمعالجة مدرسة بورجنديان للأسلوب الرومانيسكي فهو يخضع للتعبير أكثر من الإهتمام بوحدة التكوين

---

(1) Médecine de France 12 -1950 pp 18
(2) Edition Aimery : op, cit, pp 353

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٥٣	الحساب الأخير – الصحن الغربي – كاتدرائية أوتون	حجر	كاتدرائية أوتون	١١٣٠– ١١٣٥	فن رومانيسكي

ومن الأعمال النحتية التي تمثل مدرسة بورجونديان " حواء الثمرة المحرمة كنيسة إليعازر ــ أوتون ١١٢٠ ــ ١١٣٥م شكل (٥٤) ونري حواء تمثل النصف الأيمن من البوابة الشمالية لكنيسة إليعازر والنحات جيزلبرتوس نظراً إلي شكل العتبة العلوية كان مضطراً إلي ترتيب الشخصيات أفقياً،وإبراز الجانب الأنثوي في حواء ، وهذا الفنان كشف بذلك عن درايته بالتشريح الجسماني ، مع الإجادة الفنية والحس العالي بالأناقة الخطية" (١) .

ومن أجمل القوصرات الرومانيسكية التي تمثل مدرسة بورجنديان ، هناك قوصره تمثل فيزلي شكل (٥٥) والموضوع يدور حول رسالة الحواريين والتي لها دلالة خاصة في عصر الصليبين لأن هذا الموضوع يعلن عن واجب أي مسيحي في نشر الإنجيل إلي أطراف الكرة الأرضية،ويبدو المسيح علي عرش ضخم أبيض جليل بغير تاج يزين هامته ويشع من بين أصابعه نور مصوب نحو الرسل،والحفاه حاملي رسالته التي تتضمنها الكتب التي يمسكونها بأيديهم والتي بها هداية الناس وشفاء المرضي، ويتدفق ماء الحياة لامعاً كالبلور من جانب المسيح بينما يتألق عن تسعة وعشرين جامة(*) في الشريط الأوسط من قوس العقد المحيط بالتكوين النحتي وفضلاً عن إرتباط الشهور بمثل هذه الأعمال فهي ترمز أيضا إلي علامات دائرة البروج التي بدورها تذكر الإنسان بمدي قصر الحياة قبل أن يظفر بالخلاص"(٢)

"وثمة جامة من الجامات الأخرى تصور وحوشاً غريبة مقتبسة من كثير من الحيوانات الأخلاقية الرامزة التي تروي الأقاصيص عن حيوانات حقيقية خرافية

وينقسم الشر بط الداخلي لأطر المدخل المعقود إلي ثمانية حشوات غير متساوية، تضم الأمم التي تشفيها شجرة الحياة وتشمل الحشوة يسار رأس المسيح مباشرة رجلين برأس كلب وتبين الحشوة المقابلة إلي يمين المسيح رجلاً كسيحاً محني الظهر وإمراءة كفيفة تخطو متعثرة تقودها أخرى،وفي غير ذلك من الحشوات نري الأعرج فوق عكازيه بين المبروصين يشيرون إلي قروحهم والكل ينتظر الشفاء" (٣)

---

(1) Gemain Ba3in : op, cit, pp 167

(*) جامة مستديرة هي لوحة دائرية ذات نحوتات نافرة تؤدي وظيفة زخرفية فوق المبني.

(٢) ثروت عكاشة : العين تسمع والأذن تري ، فنون العصور الوسطي ، مرجع سبق ذكره صـــ١٦٠

(٣) المرجع السابق صـــ٦٠

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٥٤	حواء الثمرة المحرمة – كنيسة إليعازر	حجر	آتون – فرنسا	١١٢٠-١١٣٥	فن رومانيسكي

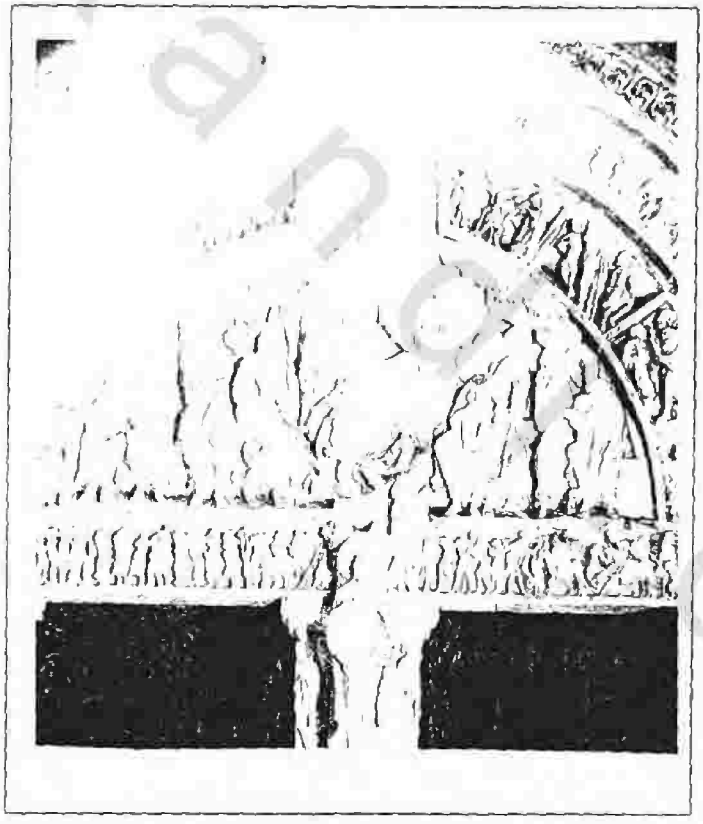

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٥٥	مهمة الحواريين – صحن البوابة الأساسية – كنيسة القديس مادلين	حجر	مدينة فيزلي فرنسا	١١٢٠-١١٣٢	فن رومانيسكي

" وعلي إمتداد العتب عرض للأمم وهي تتقدم بين الجانبين،وعلي حين مثلث الحشوات العليا المرضي،يمثل هذا الشريط الوثنين والكفرة الذي هم في حاجة إلي المدد الروحي، ومن بين هؤلاء الأقوام الغير مألوفين القاطعين أماكن نائية رجل وامرأة في أقصي الركن الأيمن،لها آذان ضخمة ويكسو الريش جسديهما،كذلك نري خنساً من الأقزام منحوتاً بمهارة فائقة،وفي أحجام ضئيلة حتى أنهم لا يستطيعون إمتطاء الجياد إلي مستخدمين السلم،وفي أقصى اليسار نشهد قوماً من المتوحشين نصف العراه يستخدمون الأقواس والسهام ، كما نري في اليسار أيضاً بعض الوثنين يقودون ثوراً إلي حيث ينحر قرباناً،ويلتقي الجميع عند المنتصف،حيث يقف يوحنا المعمدان جامة عليها صورة الحمل، وما من شك أن هذا التمثيل قد قصد به الإيحاء بأن التعميد هو طريق الخلاص" (١) .

وتتألف طريقة التكوين علي قوصرة فيزلي بالترتيب أي ترتيب العناصر علي مستويات،وتهتم بالوضعيات أي وضع الشخصية،تبعاً للمكانة الدينية،وذلك يدعو لإستخدام طريقة المبالغة في الحجم فمثلاً نلاحظ وضعية المسيح في منتصف العمل في حجم كبير،علي جانبيه الحواريين بحجم أقل والقديسين القدماء علي الإطار،ويتلو تلك الرموز المختلفة التي يتضمنها الكتاب المقدس،إضافة إلي الزخارف،ويلاحظ أيضا صفة التسطيح التي تغلب علي صياغة العمل،وجمود الحركة،والأسلوب الرمزي،وخلو الصفات الزمانية والمكانية.

والصفة الرمزية غالبة علي الواقعية،والصفة الروحية غالبة علي المادية،أي المبالغة في الجسم بدون مراعاة النسب ، ونري الظلال والنسبة تزيد الجمود والنحافة مما يزيد من الإحساس الروحي،كما أن الأجسام غير ثابتة علي الأرض فهي روحية وكأنها مخلوقات تأتي من عالم أخر ،حيث صفة الزمان منعدمة .

والسحر الجمال الذي يأخذ الألباب نراه يتمثل في المنحوتات التي علي تيجان الأعمدة في فيرلي إذ " نري مشاهد من الإنجيل وأحداث من حياة القديسين،فيصور أحد التيجان سقيفة القاعة المستعرضة الملاك جبريل محلقاً علي أهبة الإستعداد للنفخ في السور،معلناً قيام الساعة شكل (٥٦ــ أ) وثمة تاج آخر في المجاز الأوسط يبين ملاك

---

(١) ثروت عكاشة : العين تسمع والأذن تري ، فنون العصور الوسطي، مرجع سبق ذكره ، صـــ٦٣

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٥٦أ	الملاك جبريل يستعد للنفخ في الصور معلناً قيام الساعة – كنيسة المادلين بفيزلي	حجر	مدينة فيزلي فرنسا	١١٢٠-١١٣٢	فن رومانيسكي

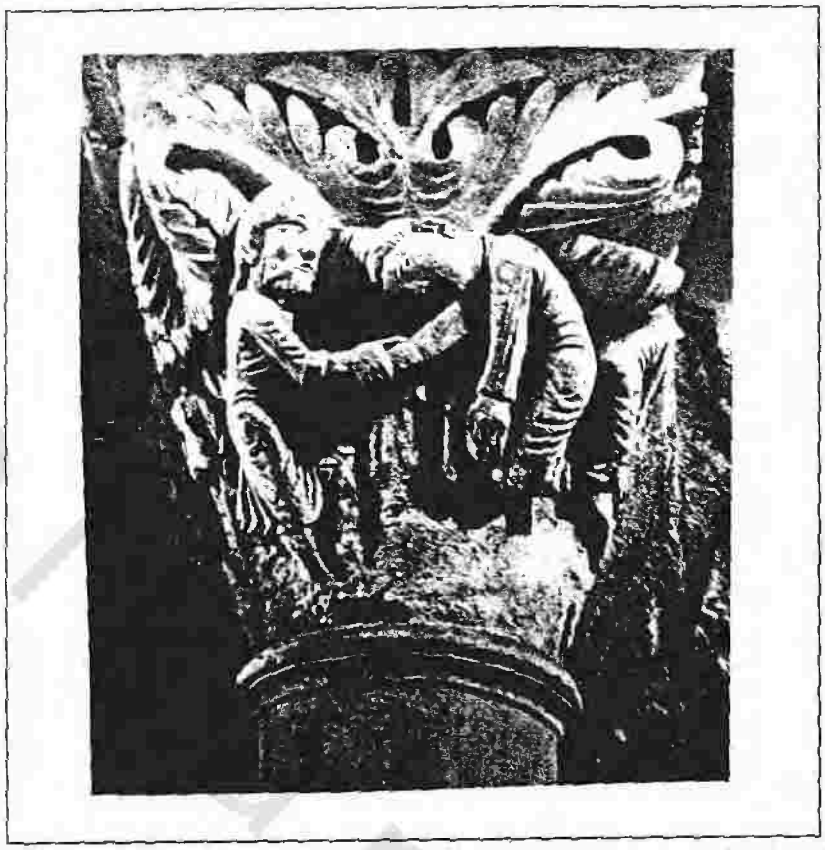

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٥٦ب	ملاك الموت يوشك أن يذبح أحد أبناء فرعون تاج عمود – كنيسة المادلين بفزيلي	حجر	مدينة بفيزلي فرنسا	١١٢٠-١١٣٢	فن رومانيسكي

الموت موشكاً أن يذبح أحد أبناء فرعون شكل (٥٦ــ ب) وتاج آخر يمثل رجلاً ملتحياً يفرغ الغلال في طاحونة يدير رحاها رجل حافي القدمين (٥٦ ــ ج) وكثير ما كانت هذه التيجان تصور أحداثاً من حياة بعض القديسين المشهورين في كلوني،وفي أحد التيجان المثيرة للفزع والتي تمثل تجربة القديس أنطوان،نشهد مخلوقاً يمثل الترف متنكراً في شكل وحش،ينتعش شعره،ويفغر فمه كاشفاً عن أنيابه شكل (٥٦ ــ د) وثمة تاج نحت بعناية فائقة يمثل القديس دارتان يأمر الحطاب بقطع شجرة (٥٦ ــ هـ) "[١]

أما قصة تطور الموسيقي فقد مثلث علي تاجين من تيجان الأعمدة التي تحمل قبة كنيسة القديس هوجو،وهي تعد أية من آيات النحت الرومانيسكي،"ويتكون كل عمود من أربعة أوجه وتمثل هذه الأوجه الأنغام الثمانية التي ترتل بها المزامير المقدسة،كما أنها ترمز للفضائل ويتضمن الوجه الأول (٥٧ ــ أ) صورة شاب حزين يعزف علي ألة موسيقية وترية شبه العود ، ونري علي الوجه الثاني الذي يمثل النغم الثاني صورة راقصة تقرع دفاً صغيراً وقد سار المنشدون في المقدمة يتتبعهم عازفوا الآلات،وبينهم فتيات يقرعن الطبول شكل (٥٧ ــ ب) ويسجل النغم الثالث رمز قيام المسيح إلي جانب صورة ألة وترية،وتمثل الآلة الأسطورية التي كان داوود يعزف عليها عند ترتيل المزامير (٥٧-ج) والنغم الرابع إحدى أغنيات النواح الجنائزي في صورة شاب يقرع مجموعة من الأجراس الصغيرة التي تنشد تلك البكائيات (٥٧-د) وقد نحتت الصور التي تمثل الأنغام الأربعة الأخرى علي أوجه تاج العمود الثاني،غير أنها أنطمست بما لم يفصح عن معارف دقيقة عن العازفين وآلاتهم"[٢]

ومن هنا نستطيع أن نري التصوير النحتي الذي يميز مدرسة بورجنديان علي واجهات كنائس أوتون وفيزلي،وعلي أشكال تيجان الأعمدة التي تخضع للمعالجة في التعبير، والجنوح بالخيال علي حساب التكوين العام .

مدرسة مقاطعة أوفرني (Auvergne)

" تمتاز هذه المدرسة بصفة خاصة بالتيجان التي تزين الكنيسة من الداخل،ونجد هذه التيجان بكثرة في كنيسة نوتردام دي بوي (Notre Dame da puy) وكنيسة سان

---

(١) ثروت عكاشة : العين تسمع والأذن تري ، فنون العصور الوسطي ، مرجع سبق ذكره ،صـــ٤١

(٢) المرجع السابق صـــ٧٦

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٥٦ج	رجلاً ملتحياً يقرع الغلال – سقيفه القائمة المستعرضة – كنيسة المادلين بفيزلي	حجر	مدينة فيزلي	١١٢٠-١١٣٢	فن رومانيسكي

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٥٦ء	مخلوقاً يجسد الترف – تاج عمود كنيسة المادلين بفيزلي	حجر	مدينة فيزلي	١١٢٠-١١٣٢	فن رومانيسكي

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٥٦	القديس مارتان – تاج عمود كنيسة المادلين بفزيلي	حجر	مدينة فيزلي	١١٢٠-١١٣٢	فن رومانيسكي

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٥٧أ	تاج عمود – عازف القيثارة – النغم الأول – كنيسة القديس هوجو	حجر	ديركلوني فرنسا	١١٢٥	فن رومانيسكي

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٥٧ب	الوجه الثاني – النغم الثاني – كنيسة القديس هوجو–الراقصة بالدف	حجر	ديركلوني – فرنسا	١١٢٥	فن رومانيسكي

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٥٧ج	الوجه الثالث –النغم الثالث – كنيسة القديس هوجو – رمز قيامه المسيح	حجر	دير كلوني – فرنسا	١١٢٥	فن رومانيسكي

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٥٧ ء	الوجه الرابع – النغم الرابع – كنيسة القديس هوجو – شاب يقرع أجراس	حجر	ديركلوني – فرنسا	١١٢٥	فن رومانيسكي

جوليان دي بويود (st julien de Brioude) وتمتاز هذه التيجان بأنها إحتفظت أكثر من غيرها بالتقاليد الرومانية،كما أنها إحتفظت أيضاً بشكل التاج الكورنثي وخطوطه، ولكنها إستبدلت العناصر التي يتألف منها هذا التاج بأشكال حية"[١]

وقوصرة البوابة الغربية لكنيسة القديس فوي شكل (٥٨) تمثل وتتضمن معظم الأعمال المنحوتة في مدينة أوفيرن ، حيث أن ترتيب المشاهد علي عدة مستويات تكشف عن الحساب بالتوازن التكويني،وهو متوارث عن مفهوم مدرسة لانجدوق وهذا الأسلوب يفضل نظام الأبعاد القصيرة السميكة،ولديها إحساس قوي في النحت والأبعاد نراها متكاملة في مدرسة أوفيرن في فرنسا،والتي تدين إلي إحياء الفن الجمإلي الذي يعود إلي عهد النحوتات الغائزة الفرنسية،ومدرسة أوفيرن هي المدرسة الرومانيسكية الوحيدة التي سعت إلي الحفر من خلال إنتاج التماثيل الخشبية للعذراء المرصعة بالزخارف المعدنية" [٢]

"والشخصيات في قوصرة البوابة الغربية لكنيسة القديس فوي تبدو وديعة ، وإطار العمل واضح والهدوء المنظم يكشف عن صورة الفردوس،والتي تتناقض مع الفوضى والإختلاط في الحجم،مع وجود رموز عن الأربعة والعشرين شيخ الجالسين علي مقاعدهم إلي جانب المسيح والعناصر المنحوتة بثراء،وتشمل القوس والعتبة العلوية والعمود الحامل الذي يحمل صورة أحد الأنبياء،مما يحقق الوحدة المعمارية والنحتية" [٣]

مدرسة الجنوب الغربي (بواتو)

لا يزال جنوب غرب فرنسا محتفظاً بعدد كبير من ال الكنائس التي تطور فيها النحت خلال العصر الرومانيسكي تطوراً كبيراً، وتمتاز هذه المدرسة بجمال أشكالها وعظمة الفوز الديني الذي عبر من خلاله الفنانون تحت تأثير الأساتذة والأساقفة والرهبان الذي كانوا يملون عليهم مواضيعم أن يطيعوا آثارهم بطابع رمزي وديني ولم يكن لبوابات هذه الكنائس مرايا (thmpans) ولكنها كانت تشتمل علي عدد كبير من الخنازير المستديرة الشكل (roussures) زينت بآثار منحوتة في شكل زخرفي

---

(١) نخبة من الفنانين : محيط الفنون ، مرجع سبق ذكره ، صـ٢١٣

(2) Gemain Bazin : Aconcise History of Art, op, cit, pp 165

(3) Portland house op. cit, pp278

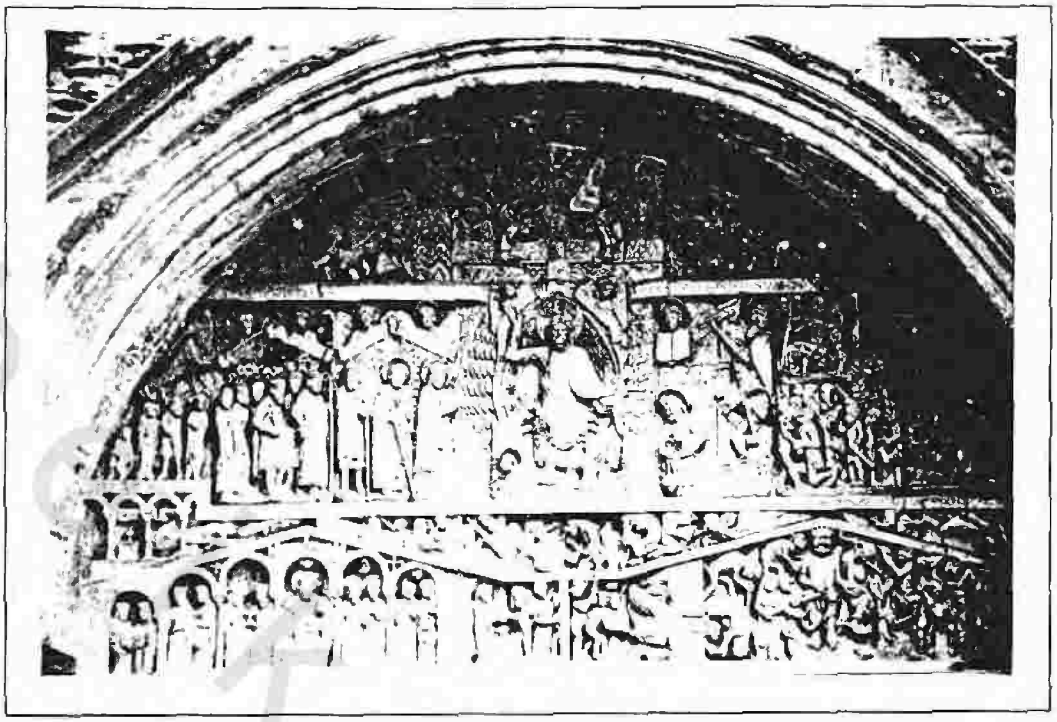

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٥٨	الحساب الأخير -قوصرة البوابة الغربية كنيسة القديس فوي	حجر	آفيرن		فن رومانيسكي

منسق مقتبس من الأشجار والأزهار المتنوعة،وكذلك الأشخاص ذوي أجسام نحيلة ومستطيلة،تتبع خطوط الخنازير في وضع رشيق ، وقد نحتت هذه الأشكال متوازية كلها نحو مفتاح العقد الذي زين المنظر الرئيسي للأحداث التي أريد إظهارها،ويمثل هذا المنظر ملائكة وأشكالاً أخرى تمثل الفضائل ،وتمتاز واجهة كاتدرائية نوتردام دلي جراند شكل (٥٩) بمدينة يواتية بآثارها المنحوتة العديدة،وقد إقتبس جزء منها من قصة دينية تدعي فاجعة الأنبياء التي كانت تمثل في عيد الميلاد"[١].

ويتضح من المنحوتات التي علي واجهة كاتدرائية نوتردام دي لي جراند أن مدرسة بواتو الفرنسية كانت تميل إلي الزخرفة الثمينة علي الواجهات،وخاصة حول البوابات.

ومن هنا نستنتج أن التباين الشديد في المدارس الرومانيسكية الفرنسية،والتي تعكس المدارس المعمارية المختلفة،بعض منها كان يعتمد علي الأبعاد،والنسب الممتدة والصياغة الخطية الطولية للملابس ،ولمحة من الإلتواء في الحركات ، ويقال أن هذه المدارس تأثرت بفن الزخرفة ، وتمثلها مدرسة لانجدوق التي اشتهرت بالقواصر التي تضم العديد من التكوينات الكبيرة،كما في مواساك وسواياك،وكذلك مدرسة بورجنديان التي تضم التكونيات المختلفة المتداخلة،وتترك الخيال من أجل التعبير كما في كنائس أوتون وفيزلي ، ومدرسة بواتو التي تميل إلي الزخرفة الثمينة علي الواجهات وحول البوابات كما في واجهة كاتدرائية نوتردام دلي جراند،ومدرسة أوفرن حيث الأبعاد المتكاملة والإحساس القوي بالنحت كما في كنيسة القديس قوي .

فن النحت الرومانيسكي في إيطاليا

مدرسة شمال إيطاليا

مدرسة الرومانيسك في شمال إيطاليا تمثل مدرسة ثانوية من الدرجة الثانية،وهذه المدرسة كانت تسعي إلي تقليل تأثير النحت الرومانيسكي في إيطاليا،والورش الفنية الإيطالية كانت تعتمد علي الإتجاهات الرئيسية للفن الرومانيسكي الفرنسي،وكذلك كانت تعتمد علي مدارس لونج دوق وبورجنديان ، وكانوا علي علاقة وثيقة مع ورش مدينة

---

(١) نخبة من الكتاب : محيط الفنون ، مرجع سبق ذكره ، صـــ٢١٥

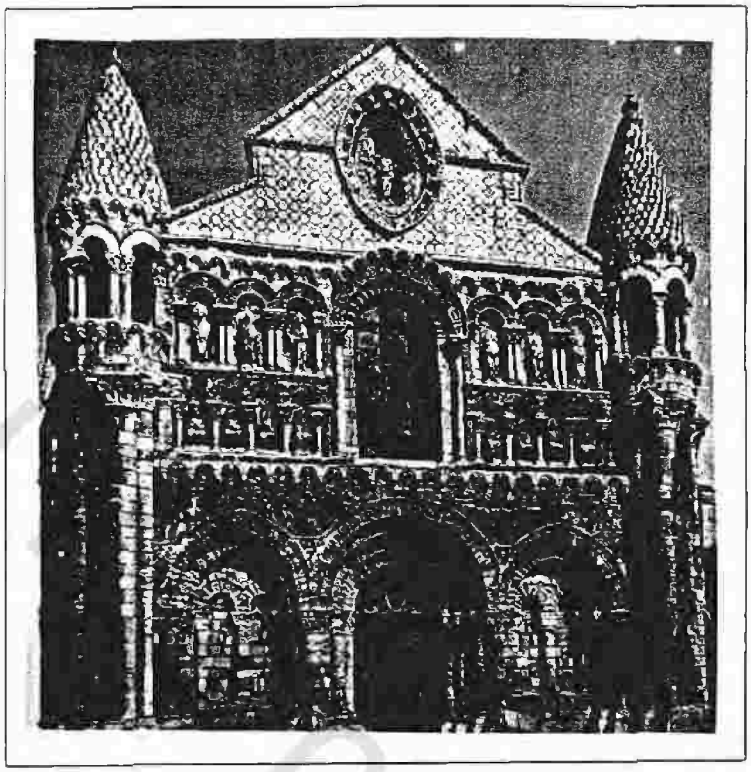

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٥٩	واجهة كاتدرائية نوتردام دلي جراند	حجر	مدينة بواتيه	١١٠٠-١١٥٠	فن رومانيسكي

إميليا ، ومع ذلك فان إيطاليا فرضت عبقريتها علي الأشكال المستوردة،بحيث أن جذورها مجهولة ، والنماذج المتبقية مغلفة بأسلوب أجنبي غريب .

ومدينة إميليا كانت تتابع بعض الأشكال الأساسية في الفن النحت الإيطالي،وهذه الأشكال كانت تختلف عن الأشكال التي ينتجها الفن الفرنسي " وهناك إثنين من التيارات الأساسية في شمال إيطاليا ، هي تيار لومبارد الذي يعتمد علي عنصر البربرية ، وفنان هذه التيار لا يعتمدون كثيراً علي الأشكال الإنسانية،ولكن يعتمدون علي النماذج الزخرفية،وكنيسة القديس ميشيل في مدينة بافيا توضح هذا الإتجاه حيث الأعمدة والأقواس المغطاة بهذه التصميمات،وهذا التراث قد مهد الطريق إلي الأعمال الجليلة في كاتدرائية أنترولاسان جويليو" [١].

وهذا المنبر شكل (٦٠) يمثل واحد من الأعمال الرائعة في النحت اللومباردي في بداية القرن الثاني عشر ، والإتجاه البربري في الفن الرومانيسكي الإيطالي قد أنتج أعمال فنية ذات قوة تعبير،وحيوية،وقوة روحية تعكس التماسك الأثري للزخرفة "والتيار الثاني كان يسري في مدن مودنيا،وبياسترا،وبارما،وفيرا والتطور بدأ في مدرسة ويلجمو علي واجهة مودنيا ١١٠٦ ، ١١٢٠ م تبعاً إلي رأي رينية جوليان وبلغ التطور أوجه في نهاية القرن الثاني عشر علي يد الفنان بند يتو أنتيلامي المسئول عن إنتاج العديد من المنحوتات في مقر التعميد في بارما،والتي إستمرت بفضل ورشته حتى القرن الثالث عشر"[٢].

"وتمثال داوود في واجهة كاتدرائية فيدنزا في مدينة لومباردیا شكل (٦١) من إنتاج الفنان بنديتو أنتيلامي النحات العظيم،حيث حرر توقيعه علي هذا العمل ، حيث أن إمضاء الفنانين علي أعمالهم كان تقليد متبع في ذلك العصر،وما يجعل الفنان بنديتو أنتيلامي متميز يعود إلي تفرده وإقتراحه أسلوب شخصي خاص به ، والعمل الفني داوود يقترب من مثالية التمثال التقليدي،أكثر من أي عمل فني آخر في القرون الوسطي فتمثال داوود يشهد علي مجهود هذا الفنان في إستعادة الطابع التقليدي ، والتمثال يبدو أنه في حاجة إلي الإطار المعماري المخصص له"[٣].

---

(1) Gemain Bazin ,op, cit, pp168
(2) I bid ,pp 168
(3) Edition Aimery, op, cit, pp224

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٦٠	المنبر – سان جوليليو	حجر	أورتا – إيطاليا	بداية القرن ١٢	فن رومانيسكي

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٦١	بنديتو أنتيلامي – داوود – الواجهة الغربية لكاتدرائية فيدنزا	حجر	إيطاليا	١١٨٠-١١٩٠م	فن رومانيسكي

مدرسة بروفانس

إن تأثير الآثار الكلاسيكية واضح في إقليم بروفانس الرومانيسكي في إيطاليا، وربما يكون هذا السبب في دوام هذا الأسلوب في هذا المنطقة،وتوجد أحد الأعمال العظيمة أمام البوابة المركزية لكنيسة جيل دوجار شكل (٦٢) حيث تتسم هذه الأعمال بالطابع الكلاسيكي،من حيث الإطار المعماري مع وجود أعمال حرة مزخرفة علي شكل نماذج وردية،والتماثيل الكبيرين لهما أهمية ووزن،ويكشفان عن ثراء التفاصيل في الآثار،والمحمولة علي أكتاف الحيوانات المتوحشة،بينما الأشكال الصغيرة عند القاعدة والتي تمثل شخصية هابيل وقابيل تماثل الأسلوب المتبع في كاتدرائية مواساك.

" ومدرسة بروفانس التي يمثلها كنيسة القديس جيل دوجارد ، وكنيسة القديس تروفيم في آرلز تكشف عن الإحساس البالغ بالنحت من خلال النحت القديم ، من التوابيت المسيحية المحفوظة بأعداد كبيرة في مدينة آرلز" (١).

مدارس إيطاليا الجنوبية وصقلية

"فكر الفنانون في جنوب إيطاليا في تزيين أثاث الكنائس،ولاسيما مقاعد الأساقفة والمنابر بزخارف من المرمر،وأخذ الفنانون ينحتون زخارف تشتمل علي تصميمات مشتقة من المرمر،وأخذ الفنانون منذ القرن الثاني عشر ، ينحتون زخارف تشتمل علي تصميمات مشتقة من طراز الزخرفة المعمول به في الشرق، ولقد شيد الملك غليوم كاتدرائية مونتريالي،وملحق دير الرهبان تزينه أقواس وأعمدة صغيرة نحتت عليها صور دقيقة،وقد زينت تيجانها بطيور وحيوانات عجيبة وصور مقتبسة من الإنجيل،ظهر علي أحد هذا التيجان الملك غليوم وهو يقدم الكنيسة التي شيدها للعذراء،وتعتبر هذه المجموعة الكاملة في حالة جيدة وهي من أجمل آثار الفن الرومانيسكي الإيطالي" (٢).

---

(1) Gemain Bazin : op, cit, pp166

(٢) نخبة من الكتاب : محيط الفنون ، مرجع سبق ذكره، ص ٢١٦

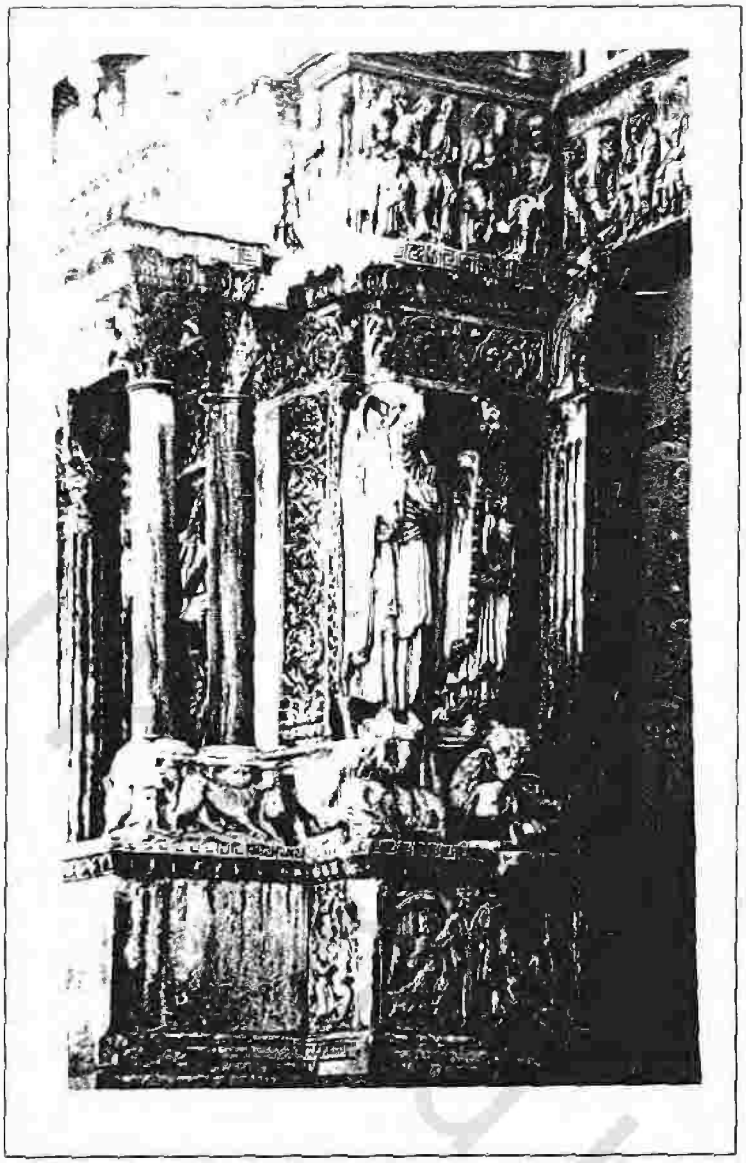

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٦٢	البوابة المركزية لكنيسة القديس جيل دوجار	حجر	إيطاليا		فن رومانيسكي

وتاج العمود في كاتدرائية مونتريال شكل (٦٣) خارج مدينة باليرمو المبنية من عام ١١٧٤ حتى ١١٨٠م تحت إشراف ملك صقلية،والذي جلب الفنانين من جميع أنحاء العالم،والنتيجة التي ترتبت علي ذلك تمثل إتحاد غريب من الأساليب المختلفة، وتيجان الأعمدة في صحن الكنيسة تستلهم الكثير من النماذج اليونانية .

الشكل في النحت الرومانيسكي في فرنسا وإيطاليا

الشكل في النحت الرومانيسكي قد إتخذ مسارات متعددة في فرنسا وإيطاليا ، ففي فرنسا فإن النحت كان يمثل التعبير عن نفسه بإرتباطه بشدة بالمعمار ، بينما نحت مدينة إميليا تميل إلي التماثيل،والتناقص الشديد بين التيارين يتضح من الأعمال الإيطالية الملهمة من النحت الفرنسي، كما أن الاتجاه الطبيعي الإيطالي نحو إبراز الأحجام يحاكي مجال النحت الفرنسي من خلال الملابس.

وجوهر النحت الرومانيسكي الإيطالي يعتمد علي القصور الذاتي ، بينما المدرسة الفرنسية تميل إلي الحركة والديناميكية الموضوعية في الفن البربري ، الذي يخضع إلي القواعد الأسلوبية،والتي أنتجت العديد من الآثار الإيقاعية،والتي لم تنبع من الرومانيسك الإيطالي، حيث يعود ذلك إلى رفض هؤلاء تصميم الواجهات المزخرفة الساذجة للعناصر التشكيلية، والنموذج المفضل للنحات الرومانيسكي الإيطالي هو الشكل الإنساني،والذي يرغب في تصوير جميع تفاصيله،وعدم الرغبة في تشويه هذه الملامح من خلال فرض الإيقاعات المعمارية عليه،كذلك رفض المزج بين هذه الملامح والأشكال الحيوانية من خلال إتحادات خرافية،مثل التي ينتجها النحاتين الفرنسيين،حتى أن مدرسة إميليا المتفتحة نحو التأثير الفرنسي كانت تفضل الوحوش من النماذج القديمة، بينما المدرسة اللومباردية تعتمد علي التقليد البربري في معالجة الوحوش،لكن دون الإعتماد علي الإستعارات التي تستهوي الفنانين الفرنسيين،والحقيقة أن بعض أجزاء من فرنسا كانت تهتم بالتماثيل خاصة الجنوب،حيث التأثر مع النماذج المتبادلة مع مدرسة إميليا، والمدرسة الجنوبية الإيطالية لم تكن معزولة أو مستقلة عن المدارس الفرنسية، ولكنها تتقاسم معها الصلة بين النحت والعمارة، ففي الجنوب فإن النحت الرومانيسكي

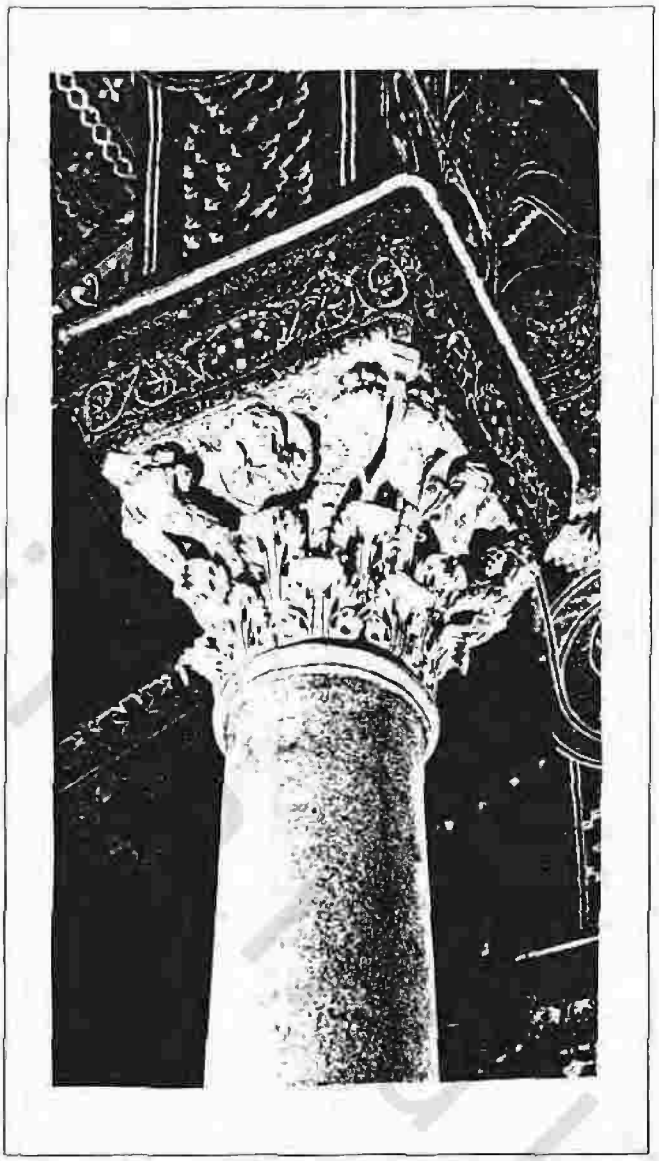

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٦٣	تاج عمود – كاتدرائية مونتريال	حجر	إيطاليا		فن رومانيسكي

الإيطالي كان يعتمد علي القديم والأطلال القديمة ، والأطلال القديمة التي كانت شائعة ووفيرة ، لذلك ففي الجنوب فإن تقليد الأسلوب القديم لم يتوقف حتى القرن الثاني عشر.

فن النحت الرومانيسكي في أسبانيا

"الأشكال الفرنسية إنتقلت إلي أسبانيا علي إمتداد طرق الحج ، والتي تتيح للحجاج زيارة العديد من الآثار الدينية في مسيرتهم عند الأقاليم الشمالية لشبة الجزيرة، بحيث أن أوفيدوليون وكومبستليو أصبحت مراكز للأحياء الأسباني النحتي،والنحت الرومانيسكي الأسباني يختلف عن النحت الفرنسي، من حيث الإفتقار إلي النظام المعماري،والتعبير عن الأشكال المعمارية،وقد بدأ خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر تأثر البوابات الرومانيسكية بالمنشأ الفرنسي" (١).

ومدينة كاتالونيا لا تضم الكثير من الأعمال النحتية مثل الموجودة في شمال غرب أسبانيا، ففي كاتالونيا نجد أعمال مقلده من الجبس والخشب والمصنوعة من أجل الكنائس الفقيرة كما في شكل (٦٤)حيث نري جلاله المسيح والحواريين ، من الجبس المتعددة الألوان ١٢٥١م ويظهر هنا التقليد الرومانيسكي القديم للواجهات الذهبية والفضية لنصب تقديم القرابين، التي كانت تعتمد علي مادة الخشب،أو الجبس المتعدد الألوان.

فن النحت الرومانيسكي في ألمانيا

التمثال الأثرى الحر الذي ينتمي إلي الفن الرومانيسكي ، الوحيد الذي لا يزال باقياً يمثل الحيوان ولكن في اطار السياق الدينيوي وليس الديني ، فالأسد البرنزي بالحجم الطبيعي أعلي العمود شكل (٦٥) يرمز إلي دوق هنري (أسد ساكسونيا) والعمل موضوع في قصره في برانزويك عام ١١٦٦م، وهذا الوحش الضاري الذي يجسد الدوق له جاذبية خاصة عند الفنانين الرومانيسك الألمان" (٢).

---

(1) Gemain Bazin ,op, cit, pp170
(2) H.W janson,op, cit, PP348

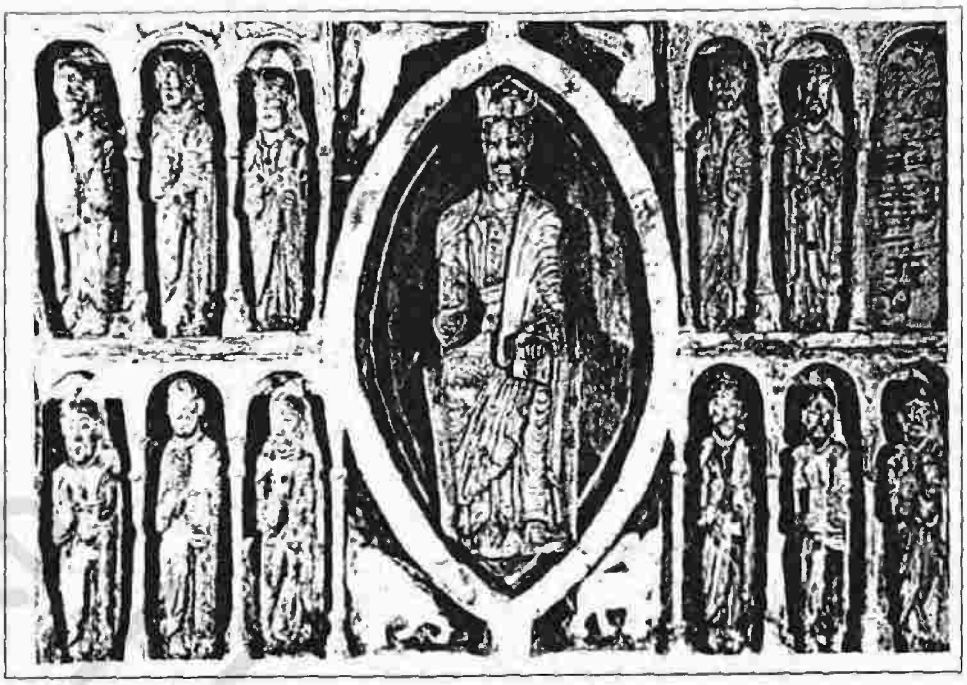

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٦٤	جلالة المسيح والحواريين	جبس متعدد الألوان	متحف برشلونة	١٢٥١م	فن رومانيسكي

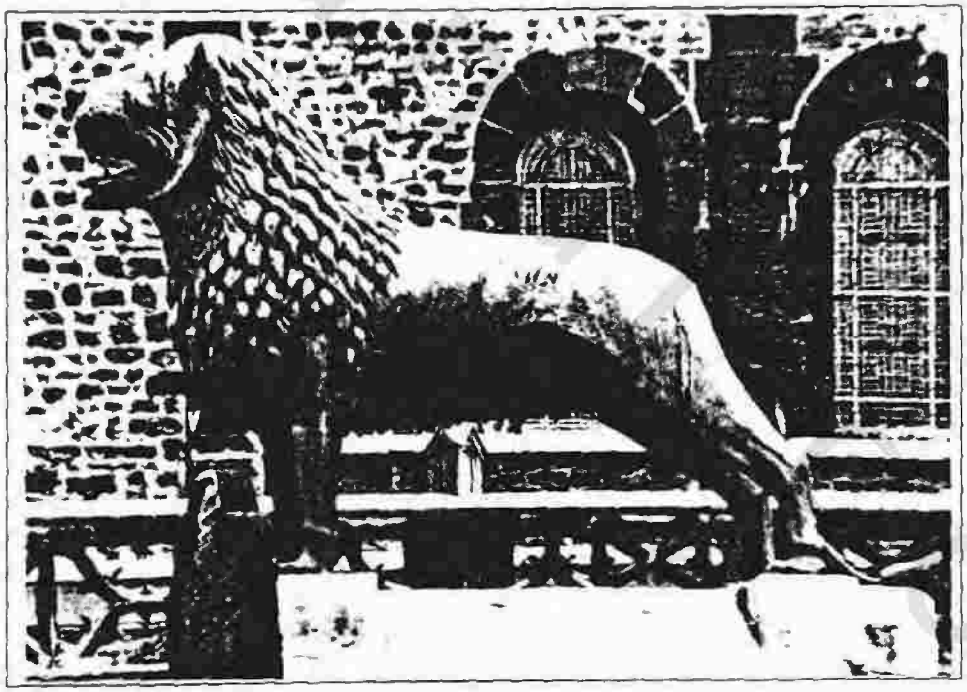

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٦٥	أثر الأسد – الكاتدرائية المربعة	١,٨م – برنز	مدينة برانزويك – ألمانيا	١١٦٦م	فن رومانيسكي

وهذه الأشكال قد شاعت في القرن الثاني عشر في ألمانيا،فهذا الوحش الضاري الذي يجسد دوق هنري في مدنية برانزويك يتماثل مع العديد من الحيوانات المتوحشة،والتي تتخذ شكل الأسد .

الإتجاه الفردي في فن النحت الرومانيسكي

منطقة وادي موووز

ظهور الشخصيات الفنية المتميزة خلال القرن الثاني عشر يمثل ظاهرة غير معلومة للجميع ، ولعل ذلك يعود إلي شيوع الإفتراض بأن الأعمال الفنية في العصور الوسطي غير معلومة لأصحابها ، والفنان بنديتوا أنتيلامي لا يمثل حالة فريدة إستثنائية ، لا يمكن أن يكون الفنان الأول أو الرائد ، كما أن أحياء الإتجاه الفردي لا يقتصر علي إيطاليا حيث أن "هناك منطقة خاصة في الشمال عند وادي نهر موووز تمتد من شمال شرق فرنسا إلي بلجيكا وهولندا، وهذه المنطقة تمثل الوعي بالمصادر الكلاسيكية خلال العهد الرومانيسكي،وفي هذه المنطقة فإن أحياء الحركة الفردية كان يتصل بتأثيرات الفن القديم ، ومع ذلك فإن هذا التأثير لم ينتج الأعمال الأثرية،والنحت في وادي موووز قد تفوق في المشغولات المعدنية،والفنان رونية دي هوي من الفنانين المشاهير في هذه المنطقة هو الذي انتج موقع التعميد في كاتدرائية لياج وهو يمثل تحفه رائعة لأعمال هذا الفنان"(١)

"ويتضح التأثر بالأعمال الكلاسيكية وهذه الأعمال تتناقض مع الأعمال المنحوتة علي أبواب كنيسة برنارد في الفن الاتوني شكل (٣٩) والتي لها تقريباً نفس الإرتفاع وبدل من التعبير الفج في الفن الأتوني، نجد هنا التوازن بين التكوين وإجادة التعامل الدقيق مع الأسطح المنحوتة،والبنيان العضوي،من حيث اللغة الشائعة خلال القرون الوسطي" (٢).

ومن الأعمال التي تنتمي أيضا إلي وادي موووز لهذا الفنان وعاء التعميد شكل (٦٦) القديس بارتلميو في مدينة لياج ١١٠٧ ، ١١١٨ م وهذا الوعاء قد تم تنفيذه بناء علي تكليف من رئيس الدير إلي كنيسة العذراء في مدينة لياج وتمثل التصوير النحتي في

---

(1) H.w janson, op, cit, pp347
(2) Edition Aimery, op, cit,pp 224

شكل	اسم العمل	المقاس، الخامة	مكان التواجد	التاريخ	العصر
٦٦	هنري دي هوي – وعاء التعميد القديس يارتلميو	٦٣,٥سم إرتفاع	مدينة لياج	١١٠٧– ١١٠٨	فن رومانيسكي

هذه المنطقة لفن القرن العاشر،والحادي عشر ، وهيئات وثنايا الملابس تكشف عن الوعي الشامل بالنماذج الكلاسيكية القديمة " [1].

ومن هنا نستطيع أن نستنتج أن فن النحت الرومانيسكي هو أسلوب ساد بعد إنهيار الإمبراطورية الرومانية التابعة للكنيسة الكاثوليكية،وهو فن متنوع،وغني، جمع بين طياته الشكلية الرومانية والرمزية البيزنطية،وقد أسهم في تكوينه مؤثرات متعددة، حيث تضمن بداخله تأثيرات من الفن الكلتي،واللمباردي،والكارولنجي،والأتوني .

حيث أسهم الفن الكلتي بخطوطه المنحنية ونقاءها، كذلك متانة الأسلوب،ومرونة وغزارة الزخارف،والأشكال الهندسية الخيالية،المرسومة بتصميمات خطية حرة،كذلك الفن اللمباردي الذي أسهم بالزخرف السطحي،والخطوط المائلة المتشابكة والحلزونية، والفن الكارولنجي الذي تمخضت جهود شارلمان في إحياء وتدعيم الكلاسيكيات،من خلال تدعيمها في الحياة الفنية،والفن الأتوني من خلال ورش صب البرنز،حيث تتصهر العناصر الكارولنجية،والبيزنطية،من خلال أسلوب جديد،ومعالجة تشكيلة جديدة من خلال الواقعية التعبيرية،والحركات المعبرة السريعة،والخطوط المنسابة .

والمفاهيم الإجتماعية خلال العصور الوسطي أثرت بلا شك علي تشكيل الموضوعات النحتية،حيث كانت نابعة من إحساس ديني ونظره متجانسة إزاء الحياة العلوية النابعة من الإرادة الإلهية،والنظام الإجتماعي الذي كان بعيد عن التسامح إزاء الحريات الفردية،حيث مبادئ السلطة،والتسلسل في المراتب،والتعاليم التي كان يلقنها رجال الدين للشعب وأصبحت صورة المسيح بدلاً من الراعي الصالح في الفن البيزنطي أصبح في الفن الرومانيسكي منحوتاً علي القواصرات في الكنائس في صورة مهيبة وزعيماً إلهياً يحكم العالم حكماً مطلقاً من خلال المشيئة الإلهية،حيث تقف هذه الصور المهيبة للسيد المسيح علي الضد من البورجوازي صاحب الأرض والأملاك في الواقع، كما أن حياة راهب الدير وعزلته أدت إلي إطراح كل ما هو واقعي وإحلال الصور المتيافيزيقية علي الموضوعات الدينية،المملوءة بعالم الجن،والحيوانات الخرافية،وزبانية الجحيم،وقد أدى ذلك إلي المبالغات في طريقة الوصول إلي التأثيرات المطلوب في

---

(1)Gemain Ba3in,op,cit,175

الحركة والإنحناءات، والأرجل المتشابكة الراقصة، حيث أصبحت الأشكال رموزاً وعلاقات مجردة للتعبير عن العالم العلوي .

وطريق الحج من كومبستيولا في أسبانياوفرنسا أدى إلي إنتاج أشكال نحتية تزين الكنائس،وتؤكد علي البيئة النفسية للزائرين،من خلال الموضوعات الدينية،حيث أصبح فن النحت يتصل إتصالاً وثيقاً بالفن المعماري،ومن هنا نشأت مصانع إختلفت في طريقة معالجتها للأشكال النحتية،كما حدث تحديث في معالجة الأعمدة حيث لا يوجد تصور إجباري من شأنه تقييد حرية النحاتين، ومدارس النحت في فرنسا تعكس المدارس المعمارية المختلفة،فورشة مدينة لانجدوق كانت تهتم بالتكوين البنائي من خلال الأبعاد،والنسب الممتدة،والصياغة الخطية،كما في مواساك وسوياك، ومدرسة بورجنديان أطلقت العنان للخيال من أجل التعبير، ولكن علي حساب التكوين البنائي كما في فيزلي وأوتون، ومدرسة بواتو كانت تميل إلى الزخرفة الثمينة،كما في نوتردام دي جراند،وأفيرن حيث الإحساس القوي بالنحت كما في كنيسة فوي .

أما مدارس النحت في إيطاليا انقسمت إلي شمال إيطاليا وجنوبها،فشمال إيطاليا كان هناك تيارين أساسين التيار اللمباردي الذي كان يعتمد علي النماذج الزخرفية من العناصر البربرية،ومدرسة إميليا التي كانت تهتمبدراسة الجسم الإنساني بدون تسوية وبلغ تطورها أشد علي يد الفنان العبقري بنديتو أنتيلامي، والجنوب حيث مدرسة بروفانس التي أعتمدت علي فن التوابيت المسيحية وتأثير الآثار الكلاسيكية القديمة.

أما الأشكال النحتية الرومانيسكية في أسبانيا فنري التأثيرات الفرنسية واضحة،وأصبحت كومبستيولا مركزاً للأحياء النحتي الأسباني، وفي كاتالونيا نجد أعمال مقلده من الجبس والخشب الملون .

أما تمثال أسد مدينة برانزويك فهو خير تعبير عن الفن الرومانيسكي الألماني حيث كان هذا الموضوع له جاذبية خاصة عند الفنان الرومانيسكي الألماني، ولا ننسي الإتجاه الفردي في فن النحت الرومانيسكي حيث منطقة وادي موزه،إذا كانت تمثل هذه المنطقة الوعي بالمصادر الكلاسيكية والتعبير عنها من خلال المشغولات المعدنية حيث كان رائد هذا الفن هو الفنان رونية دي هوي .